الفصل الأول
مقدمة

١ ـ تمهيد: الغناء ظاهرة جمالية إنسانية

الغِناء ظاهِرة إنسانية تشترك فيها جميع الأُمَمِ، فليست هناك أُمَّة إلاّ ولها غِناء. ذلك أنه مِنْ خصائص الطبائع البشرية، فلكل حاسة من حواس الإنسان مستلذاتها... والأُذن تستلِذُّ الأصوات العذبة الحُلْوة، والحناجر مختلفة الأصوات، فمنها ما هو عَذْبٌ كأصواتِ البلابِل، ومنها ما هو مُسْتَكْرَهٌ كخوار البقر، ونهيق الحمير...

ولم يَحْفَظ التاريخ مِنْ فُنونِ الشِّعْرِ أكثر مما حفظ من الفنِّ الغِنائي، ولا شكّ أن الغِناء بادىء أمره كان غفلاً عن الآلات، ثم رئي لزيادة تحسينه أنْ تُضَمَّ إليه الآلات الموسيقية، وإذا اقترنت الآلات (أي المعازف) بالأصوات، صار الغِناء صناعةً وفَنّاً، وهو بهذا المعنى موضع بحث المؤرخين القدَامى والمحدثين[١].

وصناعة الغناء قديمة في **الفُرْسِ والرُّوم**، لأنهما دولتان حضاريتان سبقت العرب.

«وكان لملوكِ الفُرسِ اهتمامٌ بأهلِ هذه الصناعة، ولهم مكانٌ في دولتهم، وكانوا يحصرون مشاهدهم ومجامعهم ويُغنون فيها، وهذا شأنُ العَجَم في كل أفقٍ من آفاقهم ومملكة من ممالكهم»[٢].

ولم تكن أُمَّةٌ من الأمم بعد فارِس والروم أَولع بالطرب والملاهي من العرب، وفي ذلك يقول شوقي ضيف في كتابه «**الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية**»[٣]:

«عُرِف **العَرَبُ** قديماً بمحبتهم للغناء، وهناك نصوصٌ كثيرةٌ متفرقة في كتب التاريخ والأدب تشهد بأنهم كانوا يُغَنُّون مِنَ المَهْدِ إلى اللَّحْدِ... إذ كانوا يُرَقِّصون أطفالهم بالغناء، كما كانوا يبكون موتاهم بالنواح[٤]، وهو ضَرْبٌ حزينٌ من الغناء، وقد اشتهروا بِحُدائهم

---

(١) أبو الوفا المراغي «كتاب السماع» لابن القيسراني، المقدمة الصفحة (١٢).

(٢) ابن خلدون «المقدمة» الصفحة (٤٢٦) الفصل الثاني والثلاثون في صناعة الغناء.

(٣) شوقي ضيف «الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية» الصفحة (٣٩).

(٤) ونُواح الخَنْساء على أخيها وأبيها معروف، وكذلك نُواح هند بنت عتبة على أبيها وأخيها وعمها. انظر «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (٤/ ٢١٠ ـ ٢١١) طبعة دار الكتب المصرية.

للإبل[١] في مسيرهم وترحالهم، كما اشْتُهِرُوا بأغانيهم في الحروب وأشعارهم الحماسية[٢]، ويظهر أنهم كانوا يستخدمون الغناء في عباداتهم، ففي القُرآن الكريم ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[٣] والمُكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق[٤].

ويقول ابن عبد ربه في **«العقد الفريد»**:

«وإنما كان أصلُ الغِناء ومعدنه في أُمهاتِ القُرَى مِن بلادِ العربِ ظاهِراً فاشياً وهي المدينة والطائف، وخَيْبَر، ووَادي القُرَى، ودُومَة الجَنْدَل، واليمامة»[٥].

ومعنى ذلك أن المدينة كانت إحدى مواطِنِ الغِناء المهمة في العصر الجاهلي، ومن هُنا لا يكون غريباً أن نَسْمَعَ بعد ذلك استقبال الجواري أو الولائد للنبي ﷺ بالدُّف والألحان:

طَلَعَ البَدْرُ علينا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الوداعِ
وجب الشُّكْرُ علينا ... ما دعا للهِ داعِ[٦]

وفي عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، ظَلَّ الغناء بالمدينةِ منتشراً دون سَرَفٍ، وهناك أحاديث كثيرة تُؤكد أن الرسول ﷺ لم يكن يُحَرِّم الغِناء، بل على العكس، كان يُبيحُهُ»[٧].

وما زال الغِناء يتطور عبر امتداد التاريخ والفتوحات الإسلامية حتى اشْتُهِر في الدولتين الأُمَوِيّة (٤١ ـ ١٣٢هـ) والعبّاسية (١٣٢ ـ ٦٥٦هـ) وطال الخلفاءُ أَنْفُسَهُم ـ وقد دخلت إليه الصناعة المُتْقَنَة والآلات الموسيقية ذات المنشأ العَجَمِي، فَانْحَرَف بذلك مِنَ الفِطرة السليمة حيث كان مقصوداً لغيره إلى المُجون والخَلاعة والفِسْق حيث أصبح مقصوداً لذاته، ونشأ في هذه العصور مُغَنُّون ومُغَنِّيات انتشروا في بقاع العالم الإسلامي.

---

(١) الحُداء ـ بضم الحاء ـ هو ضَرْبٌ من الغناء ينشده الأعرابي لدابته في سفره حتى يخفف عنها تَعَبَ سيرها ومشقة حملها تحت أشعة شمس الصحراء اللاهبة فتنشط للسير، وقد سمع الرسول ﷺ الحُداء وأذن فيه، ومنه قوله ﷺ لأنجشة حادِيهِ: «رويدك بالقوارير». انظر **«فتح الباري»** للحافظ ابن حجر العسقلاني (١٠/٥٣٨) و **«لسان العرب»** لابن منظور (١٤/١٦٨) مادة (ح دا). وراجع أدلة المجيزين للغناء في الفصل الثاني من الرسالة.

(٢) انظر **«تاريخ الطبري»** (٢/١١٦) وشعر عمرو بن تبان أسعد حين قتل من قتل مِنْ حِمْيَر وأهل اليمن، وأشعار هند بنت عتبة قبيل معركة أُحُد عند دراسة الاستعراض التاريخي ـ الاجتماعي ـ الاقتصادي لحركة تطور الغناء في العصر الجاهلي.

(٣) سورة الأنفال، الآية: (٣٥).

(٤) ابن كثير **«تفسير القرآن العظيم»** (٢/ ٣١٩).

(٥) ابن عبد ربه **«العِقد الفريد»** (٧/ ٢٣ ـ ٢٤).

(٦) الغزالي **«إحياء علوم الدين»** (٢/ ٢٧٧) وأوردها الحافظ ابن حجر في **«فتح الباري»** (٧/ ٢٦١ ـ ٢٦٢) وقال: «سَنَدُهُ مُعْضَل»، ولعل ذلك كان في قدومه من غزوة تبوك. فهذا الحديث إذاً مردود، وهو من أقسام الضعيف، ولم تتحقق مناسبته عند وصول النبي ﷺ المدينة المنوّرة قادماً من مكة عند الهجرة كما تُصْرفُ شُهْرَتُه في أذهان العامة لذلك، فليتنبه لهذا.

(٧) شوقي ضيف **«الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية»** الصفحة (٣٩ ـ ٤٠).

ففي الدولة الأُموية استمع الغناء الخليفة معاوية بن أبـي سفيان (ت ٦٠هـ) من المُغَنِّي «سائب خاثر» وكذلك ابنه يزيد (ت ٦٤هـ). وحتى الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز الوَرِع الزَّاهِد (ت ١٠١ هـ)، كان يسمع الغناء قبل أن يلي الخلافة، وأما سليمان بن عبد الملك (ت ٩٩هـ) فلهُ خَبَرٌ مع المُغَنِّية «الزلفاء». وممن استمع أيضاً الوليد بن يزيد بن عبد الملك (ت ١٢٦هـ).

وفي الدولة العبّاسية كان الشِّعر الغِنائي في زمان الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد (ت ١٩٣هـ) سبيلاً إلى الجوائز والصلات التي تكاد تخرج عن حَدِّ التصديق. قال إسماعيل بن جامع: أخذتُ مِنَ الرشيد بِبَيْتَيْن غنيته إيّاهما عشرة آلاف دينار (ذهب). وكان لهارون الرشيد جماعة من المغنين منهم:

إبراهيم الموصلي، وابن جامع الـسهمي، ومخارق، كمان كان له زامِرٌ يُقال له «برصوما». ومن المستمعين للغناء في الدولة العباسية عبيد الله بن عبد الله بن عتبة (ت ٩٨هـ) وهو أحد الفقهاء السبعة المُقَدَّمين بالمدينة، والواثق ابن المعتصم بن هارون (ت ١٣٢هـ) والمنتصر بالله، أبو جعفر (ت ٢٤٨هـ).

واستمع إليه المأمون وكان له جماعة من المغنين، منهم مغن يُسَمَّى «سوسنا».

ومن أشهر المغنين في تلك العصور: طُوَيْس، وسائب خاثر، ومَعْبد، وابن عائشة، ويُونُس الكاتب، ومالك الطائي، وعُطرَّد.

ومن أشهر المغنيات: عَزَّة المَيْلاء، وجميلة، وسَلاّمة القسّ، وسَلاّمة الزرقاء»[1].

«وما زال الغناء يتطور على امتداد التاريخ، ويكتـسب قُوَّةً وأنصاراً، ساعد على ذلك عوامل أهمها:

١ ـ اتصاله بالطبيعة البشرية ومَيْلَها إليه اسْتِرواحاً مِنْ هموم الحياة وأثقال العَيش.

٢ ـ وعذوبة موسيقاه، ووضوح معانيه، وسهولة ألفاظه، مما قرَّبه إلى العامَّة، وسلكهم مع الخاصة في اَسْتِساغَتِهِ وتذوّقه.

٣ ـ تطورّ القيم الأخلاقية في المجتمعات التي نَفَرَت مِنَ الملق في شعر المديح، وكرهت الفحش والإقراع في شعر الهجاء، واَعْتَبَرَتْ التفاخر بالماضي ضَرْباً مِنَ اَسْتِجْداءِ الأموات»[2].

---

(١) راجع تفاصيل ذلك في الفصل الثاني من الرسالة: الغناء المباح، أدلة المجيزين للغناء، بعض من سمع الغناء من الخلفاء وأبنائهم في العصرين الأموي والعباسي.

(٢) أبو الوفا المراغي، كتاب «السماع» لابن القيـراني الصفحة (١٥).

٢ ـ تعريف الغناء لغة وشرعاً:

* يُعرِّف الإمام القرطبي في «**تفسيره**» الغناء في معرض تعليقه على حديث «ليس مِنّا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن» نقلاً عن الإمام الطبري فيقول:

قال الطبري: المعروف عندنا في كلام العرب أن التَّغَنِّي إنما هو الغناء الذي هو: **حُسْنُ الصوت بالترجيع**.

وقال الشاعر:

«تَغَنَّ بالشِّعْرِ مهما كنتَ قائلَه ... إنَّ الغناء بهذا الشِّعْرِ مِضْمارُ»[١]

* وأما الإمام الفيروزآبادي فيعرِّفه في «**القاموس المحيط**» قائلاً: الغِناء: كَكِساء: **من الصوت، مَا طُرِّب به**، وغنَّاه بالمرأة: تَغَزَّل[٢].

* وإلى هذا التعريف مال ابن منظور في «**لسان العرب**»[٣] قال: وقد غَنَّى بالشِّعْرِ، وتَغَنَّى به، ويُقال: غَنَّى فُلانٌ، يُغَنِّي أُغْنِيَةً وتَغَنَّى بأُغنيةٍ حَسَنَةٍ، وجَمْعُها الأغاني...

وبينهم أُغْنِيَة وإغنية يَتَغَنَّون بها أي نَوْعٌ من الغِناء.. والجمع أغاني.

وغَنَّى وتَغَنَّى بمعنًى. وغَنَّى بالرجُلِ وتَغَنَّى به: مَدَحَهُ أو هَجاهُ.

قال ابن سِيدة: وعندي أنَّ الغَزَل والمَدْح والهِجاء، إنما يُقال في كلٍّ واحِدٍ منها غَنَّيت وتَغَنَّيت بعد أن يُلَحَّن، فَيُغَنَّى به. وغَنَّى الحمام وتَغَنَّى: صَوَّت.

* ويُعَرِّف حجة الإسلام الإمام الغزالي الغناء بشيءٍ من التفصيل في كتابه «**إحياء علوم الدين**» فيقول:

«إن الغِناء اجتمعت فيه معانٍ ينبغي أن يُبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها، فإنَّ فيه سماع صوتٍ طَيِّبٍ موزونٍ مَفْهومِ المعنى، مُحَرِّكٍ للقلْب، فالوصف الأعم أنه صوتٌ طيِّب».

ثم الطيِّب ينقسم إلى الموزون وغيره.

والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار، وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات»[٤].

* وينقل الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي تعريف الغناء في كتابه «**إيضاح الدلالات في سماع الآلات**» عن الشيخ الإمام شهاب الدين، أحمد بن غانم المقدسي رحمه الله تعالى في

---

(١) القرطبي «**الجامع لأحكام القرآن**» (١/ ١٤).
(٢) الفيروز ابادي «**القاموس المحيط**» الصفحة (١٧٠١).
(٣) ابن منظور «**لسان العرب**» (١٥/ ١٣٩ ـ ١٤٠) بتصرّف.
(٤) الغزالي «**إحياء علوم الدين**» (٢/ ٢٧٠) كتاب آداب السماع والوجد.

كتابه «**حلّ الرموز ومفتاح الكنوز**» ما صورته: «أنَّ السَّماع إنما هو عِبارة عن الأصوات الحَسَنة والنغمات المُطْرِبة، يصدر عنها كلامٌ موزونٌ مفهوم، فالوصف الأعمّ في السّماع إنما هو الصوت الحسن، والنغمة الطيبة، وهو ينقسم إلى قسمين: مفهوم كالأشعار، وغير مفهوم كأصوات الجمادات وهي المزامير كالشبّابة وغيرها من أصوات الطيور المطربة»[١].

وقد رأينا إتماماً للفائدة أن نوجز بعض التعريفات المتعلقة بموضوع الغناء التي ذكرها الفقهاء:

ـ كالاستماع: وتعريفه لغةً واصطلاحاً: قصد السماع بغية فهم المسموع أو الاستفادة منه.

ـ أما السماع: فإنه قد يكون بقصد أو بدون قصد[٢].

وغالب استعمال الفقهاء للسماع ينصرف إلى استماع آلات الملاهي، أي القصد. وأخيراً لا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّ أذهان العوام تنصرف في هذا الزمان عند التلفظ بالغناء فوراً إلى الغناء المحرَّم الذي عمَّ وطمَّ في الشرق والغرب والمُجْمَع على تحريمه بلا خلاف، فإن قلت لهم: إن هناك نوعاً منه حلال مثل أغاني الجهاد والبناء، والتغني بوصف الطبيعة ومَدْحِ الخالق، وأغاني الحجاج إلى بيت الله الحرام، وأغاني الأعراس، والتواشيح الدينيّة ومدح النبي ﷺ، ومدح الإسلام وأهله وغير ذلك رَفَضُوا تسمية ذلك غناءً وفَرَّقوا وسَمُّوا ذلك أناشيد وتواشيح. والصواب في هذه المسألة أن الغناء بتعريفه يشمل إضافة إلى هذه التواشيح والأناشيد والمدائح، النوعَ المحرَّم بالإجماع أيضاً على ما عَرَّفَهُ الفيروزآبادي في «**القاموس المحيط**» بأن الغِناء من الصوت، ما طُرِّبَ به.

وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى هذه التفرقة في «**فتح الباري**» فقال:

«الغناء يُطْلَقُ على رفع الصوت وعلى التَّرَنّم الذي تسميه العرب النَّصْبُ، وعلى الحُداء، ولا يُسَمَّى فاعله مغنياً، وإنما يُسَمَّى بذلك من يُنْشِدُ بتَمْطِيطٍ، وتَكْسِيرٍ، وتَهْيِيجٍ، وتشويقٍ بما فيه تعريض بالفواحش أو تصريح. قال القرطبي: قولها (أي السيدة عائشة رضي الله عنها): «ليستا بمغنيتين» (أي بالمُنْشِدتين في حديث البخاري بغناء بُعاث)[٣] أي ليستا ممن يعرف

---

(١) الشيخ عبد الغني النابلسي «**إيضاح الدلالات في سماع الآلات**» الصفحة (٦٤).

(٢) الفيومي «**المصباح المنير**» مادة (سمع) ومن الفقهاء الذين فَرَّقوا بين الاستماع والسماع شيخ الإسلام ابن تيمية في «**مجموع الفتاوى**» (١١/٥٦٦) وابن قدامة المقدسي في «**المغني**» (٩/١٧٣) وابن عابدين في «**الحاشية**» (٥/٢٥٣) وابن حجر الهيتمي في «**التحفة**» على ما ذكره المناوي في «**فيض القدير**» (٤/٤١٣)، والرملي في «**نهاية المحتاج**» (٨/٢٩٦). وانظر الفصل السادس من الرسالة الترجيح بين الأدلة، باب الابتعاد عن الغلو عند المجتهد.

(٣) أي الذي رواه البخاري في «**فتح الباري**» (٢/٤٤٠)، (١٣) ـ كتاب العيدين، (٢) ـ باب الحراب والدَّرَق يوم العيد، الحديث رقم (٩٤٩) ولفظه عن عائشة قالت: «دخل عَلَيَّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعاث، فاضطجع على الفِراش وحَوَّل وجهه، ودخل أبو بكر...» الحديث.

الغناء وهو الذي يحرك الساكن، ويبعث الكامن، وهذا النوع إذا كان فيه شعر فيه وصف محاسن النساء والخمر وغيرهما من الأمور المُحَرَّمة لا يُخْتلَفُ في تحريمه»[١] انتهى كلام الحافظ.

٣ ـ تعريف المعازف وآلاتها:

أ ـ التعريف الشَّرْعي:

عَرَّفَ الإمام الذهبي المعازف عند إيراده لحديث البخاري بقوله: «يَسْتَحِلُّونَ المعازِف»[٢] فقال رحمه الله في «**تذكرة الحُفّاظ**»[٣] و «**سير أعلام النبلاء**»[٤]:

المعازفُ: اسمٌ لِكُلِّ ما يُعْزَفُ به من طُنْبُورٍ أو شَبَّابَةٍ أو غير ذلك من آلات الملاهي.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «**فتح الباري**»[٥] عند شرحه للحديث:

هي آلات الملاهي والغِناء (من عُودٍ وزمّارة وطَبْلٍ وكمان وقيثارة).

ب ـ أما التعريف اللغوي:

فيجعلها حَرَاماً وهي الملاهي ومفردها مِعْزَف وفيه إشارة إلى ما يَنْتُجُ عنه مِنْ عُزوفٍ عن الحَقِّ وجُنُوحٍ إلى اللَّهْوِ على ما قاله ابن منظور في «**لسان العرب**»[٦]، ولهذا قيل: «أَلْهاهُ ضَرْبُ المَعَازِفِ عن ضُروبِ المَعارِفِ»[٧].

لَفظُ المُوسيقَى غير عربي وهو يوناني:

أمّا لفظ الموسيقى، فهو غير عربي وإنما يوناني، يُطْلَق على فنون العَزْفِ على آلات الطَّرَبِ، والكلمة مشتقة من مُوسا ومعناها الملهمة ثم أُضيف حَرْفَيْ (قَى) فأصبحت موسيقى لِتُطْلَق على كافَّة الفنون، إلاّ أنَّ التسمية قَصُرَت فيما بعد على الأصْوات المَوْزُونة أو هي عبارةٌ عن الإيقاعات والأنْغام، والنَّغَم هو الكلام الخفِيّ أو الصوت الحَسَنِ[٨].

---

(١) ابن حجر «**فتح الباري**» (٢/ ٤٤٢).

(٢) حديث البخاري هو أقوى أحاديث الغناء والمعازف على الإطلاق ولفظه: «ليكونَنَّ من أُمَّتي أقوام يستحِلُّون الحِرَ (أي الفروج) والحرير والخَمْر والمعازف...» ذكره ابن حجر في «**فتح الباري**» (١٠/ ٥١)، (٧٤) ـ كتاب الأشربة، (٦) ـ باب ما جاء فيمن يستحِلُّ الخَمْر ويسميه بغير اسمه، الحديث رقم (٥٥٩٠). وسيأتي.

(٣) الذهبي «**تذكرة الحفاظ**» الصفحة (١٣٣٧) في ترجمة أبي موسى المديني وسيأتي.

(٤) الذهبي «**سير أعلام النبلاء**» (٢١/ ١٥٨).

(٥) ابن حجر «**فتح الباري**» (١٠/ ٥٥).

(٦) ابن منظور «**لسان العرب**» (٩/ ٢٤٤) مادة (عزف).

(٧) الزمخشري «**أساس البلاغة**» الصفحة (٣٠١).

(٨) «**مفاتيح العلوم**» للخوارزمي الصفحة (١٣٦)، وابن منظور «**لسان العرب**» (١٢/ ٥٩١) مادة (نغم) وقد اختلف العلماء في كتابة لفظ الموسيقى، فمنهم من يكتبها بالألف الممدودة هكذا (موسيقا) ومنهم من يكتبها بالألف المقصورة (موسيقى).

ت ـ تقسيم الآلات الموسيقية:

التقسيم المشهور يجعلها ثلاثة أنواع تندرج تحتها جميع الآلات:

أولاً ـ الآلات الوَتَرِيَّة:

وهي الآلات التي يُسْتَخْدَمُ فيها الوَتَرُ أو الأَوْتار في إخراج الأصوات ومنها:

(أ) العود وعائلته (ومِمّا يُشْبِهُهُ الطُّنْبُور أو الكمان، والغيتار، والشاهرود، والكيران، والبربط وأيضاً الفيولا).

(ب) الجَنْك أو الهارب أو الصَّنْج أو القيثار.

(ج) القانُون.

(د) الكنارة أو السمسمية أو لاير.

(هـ) الرَّباب.

ثانياً ـ آلات النفخ أو الآلات الهوائية:

ويندرج تحتها:

(أ) الناي (قصبة جوفاء مفتوحة الطرفين).

(ب) المِزمار (وله أسماء عديدة في المراجع العربية مثل اليَرَاع والشاه والشياع والداود والنَّقِيب والسُّرْناي، ويوجد مِزمار الجِراب وهو ما يُشبِه الكيس ومادته مِنَ الجِلْدِ ويُنفخ فيه بواسطة مِزْمار ويسمى سمبونيا.

(ج) البُوق أو النَّفير (أنبوب من النُّحاس على شكل مخروطي).

(د) القَرْن (أنبوب بشكل قرن).

(هـ) الشّعيبية (تتألف من عدة أنابيب مختلفة الطول من الخشب أو العاج أو المعادن).

(و) المشتق (صندوق صوتي عليه أنابيب مختلفة يتصل بها عن طريق الصندوق أنبوب أعوج للنفخ فيه).

وتقسم آلات النفخ إلى قِسمَيْن:

ـ الخَشَبِيَّة (كالفلوت والباصون).

ـ النُّحاسية (كالتُّرومْبيا والتّرمبُون والأرغول).

ثالثاً ـ آلات الإيقاع أو الضرب:

هي التي يخرج منها الصوت بطريقة الضرب أو النَّقْر وهي نوعان:

* **ذات الرَّقِّ:** يُنْقَرُ فيها على جلْدٍ رقيق مَشْدُودٍ على الإطار أو الصندوق الصوتي.

ـ ويدخل في هذا النوع الدُّفوف بأنواعها كالدف المُرَبَّع والمُسْتَدير والدُّفّ الزنجاري أو الرِّقّ حيث توضع بإطاره صنوج نحاسية والغِرْبال والمِزْهِر.

ـ وكذلك الطُّبول بأشكالها المختلفة كالطَّبْلِ المُسْتدير الكبير، والطبل الطويل، والطبل الأسطواني، ويطلق على الطبول اسم الكبارات.

ـ والنَّقّارات المصنوعة من فخار أو نحاس على هيئة الطاسة وأكبر أنواعها يُسَمَّى التَّمْباني.

ـ وأيضاً الكُوبَة التي تكون بشكل طبل دقيق الوسط واسع الطرفين.

ـ وأيضاً الطبلة المسماة في عُرْفِنا «الدِّرْبَكَّة».

ـ ويدخل كذلك المثلثات وهو ما يعمل بشكل مثلث فُتِحَت إحدى زواياه.

* **الآلات المُصَوِّتة بذاتها تستعمل بِضَرْب بعضها ببعض.**

ـ منها المُصَفّقات أو الصّاجات أو الكاستانيت، والكاسات أو الجنجانات أو الصِّنْبال، والجنج، والصُّنُوج، وكذلك الأجراس ويوجد في كتب الموسيقى أسماء كثيرة لمثل هذا النوع... منها الكسيلوفون، والمِيتِيَالُوفون، والثِّيرافون، والثُّوبافون، ويجمعها أنها تصوت بنفسها[1].

---

(١) انظر هذه التقاسيم في الكتب التالية:
ـ **«الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية»** للدكتور صبحي أنور رشيد.
ـ **«معجم الموسيقى العربية»** للدكتور حسين علي محفوظ.
ـ **«تاريخ الموسيقى والغناء العربي»** لمحمد محمود سامي محفوظ.
ـ **«تاريخ الحياة الموسيقية»** لمصطفى كامل الصواف.
ـ **«قواعد الموسيقى الغربية»** لمحمد محمود سامي الصفحة (١٢٩).
ـ **«موسيقى الجاز»** للانحتون هيوز (ترجمة نِلي عبد النور).
ـ **«هذا هو الأوركسترا»** ـ السابوزيل (ترجمة نِلي عبد النور).
ـ **«المقدمة»** لابن خلدون الصفحة (٤٢٣).
ـ **«الشريعة الإسلامية والفنون»** لأحمد مصطفى علي القضاة الصفحة (١٨١ ـ ١٨٧).

٤ ـ استعراض تاريخي ـ اجتماعي ـ اقتصادي لتطور الغناء عند العرب والمسلمين في العصر الجاهلي حتى العصر العباسي (٦٥٠هـ):

مقدمة:

إن دراسة هذا الباب تُعْتَبر من الأهمية بمكان، فهي تعكس لنا تطوّر الصورة التاريخية الاجتماعية للفنون الإنسانية انطلاقاً من حياة الصحراء وانتهاءً بمظاهر العمران وإنشاء المدن على قاعدة تجاوز الضروري إلى الحاجي ثم إلى الكمالي كما عبَّر عنها المؤرخ الكبير العلامة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المغربي (ت ٨٠٨هـ) في كتابه المعروف «بمقدمة» ابن خلدون بعدما سار على أسلوب فلسفة التاريخ في نقده للحوادث وربطه بين الأسباب والمسببات حيث عالج موضوع الغناء والمعازف في الفصل الثاني والثلاثون في صناعة الغناء كظاهِرة اجتماعية للعمران[1].

كما تبين هذه الدراسة كيفية ما ورد عن رسول الله ﷺ من رخصة في التغني وضرب الدُّف والطبل وهما المعروفان آنذاك من الآلات في الجزيرة العربية، وسماع الفقهاء الأربعة للغناء، ثم إنكارهم فيما بعد إنكاراً شديداً للسماع.

وتُبْرِزُ تأثر الحضارات بعد الفتوحات الإسلامية الكبيرة وإنشاء المدن ومراكز الثقافة والعمران ودخول أشهر المغنين وأصلهم من المخنثين العجم وآلاتهم في المجتمعات الإسلامية، وتشير إلى أهم المغنين والمغنيات في العصر الجاهلي وصدر الإسلام والعصر الأموي والعباسي في مدن الشام والعراق والحجاز والأندلس والمغرب العربي، وإلى أهم العلماء الذين طوّروا فن الموسيقى وما رافق ذلك من أسباب.

أولاً ـ الغناء والمعازف في العصر الجاهلي

يشير المؤرخ ابن خلدون في «مقدمته» إلى أنواع الغناء الجاهلي ـ وهو البسيط من التلاحين ـ التي كان يمارسها العرب في هذا المجتمع الصحراوي فيقول:

وأما العرب فكان لهم أولاً فَنّ الشعر.

ثم تغنى الحُداةُ منهم وربما ناسبوا في غنائهم بين النغمات مُناسبة بسيطة كما ذكره ابنُ رشيق في آخِر كتاب «العمدة» (١٠٨٨/٢) وغيره وكانوا يسَمُّونه السِّناد.

وهذا البسيطُ كُلُّه من التلاحين هو من أوائلها، ولا يَبْعُدَ أنْ تَتَفَطَّنَ له الطباع مِنْ غير

(١) ابن خلدون «المقدمة» الصفحة (٤٢٣) الفصل الثاني والثلاثون في صناعة الغناء.

تعليم، شأنَ البَسائِط كلِّها مِنَ الصنائع». انتهى كلام ابن خلدون[١].

وأما النَّصْبُ[٢]: فهو حُداء دخلته بعض التحسينات.

*** ومن الآلات المتداولة في العصر الجاهلي:**

الدُّف والصَّنْج، وبذلك انتشرت موسيقى العصر الجاهلي في جميع أوجه الحياة، سواءٌ في حياة العرب الخاصة والعامة والدينية كما ذكر القرآن الكريم في الآية الكريمة ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[٣] والمكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق؛ وجدير بالذكر أنَّ أهالي مكة مركز الوثنية في العصر الجاهلي، كانوا يُلْقونَ أناشيدهم وتراتيلهم في الكعبة الشريفة بطريقة همجية، بدائية كما وصفهم القرآن الكريم.

*** أهداف الأغنية العربية الجاهلية:**

وقد تَغَنَّى العرب بأغاني الحصاد في واحات النخيل، ويُؤكد لنا التاريخ أن الموسيقى لعبت دوراً هاماً في أعمال السِّحر والشَّعْوَذَةِ والعرافة[٤]، ويُقال: إنهم كانوا يستدعون الجِنَّ بالاستعانة بالموسيقى[٥]. ومن المؤكد أنهم كانوا يستخدمون الغناء في عباداتهم، ويُغَنُّون من المهد إلى اللحد، فيرقصون أطفالهم بالغناء ويبكون موتاهم بالنواح، ويُروِّحون عن أنفسهم في مسيرهم وترحالهم مِنْ عَنَاء الأسْفار المُضْنِية فوق رمال الصحراء، كما اشتُهِروا بأغانيهم في الحروب وأشعارهم الحماسية.

*** مميزات وأسلوب الغناء الجاهلي:**

وفي التاريخ روايات كثيرة تدل على طابع وأُسْلُوب الغناء في ذلك العصر، إذ لم يكن له قواعِد وأُصول ثابتة، بل كان المغني يسير باتجاه عاطفته الساذجة بصدقٍ وإخلاص، في وقت كان العرب يُزاوِلونَ حرفة الموسيقى والغناء في أسلوبٍ بدائي فطري.

*** مِنْ أسماء المغنين في العصر الجاهلي ونذكر منهم:**

عدي بن ربيعة بن مرّة بن هبيرة (ت ١٠٠ ق. هـ) الملقب بالمُهَلْهِل، وعلقمة بن عَبدة

---

(١) ابن خلدون «**المقدمة**» الصفحة (٤٢٦ ـ ٤٢٧) بتصرف، و «**حضارة العرب في الجاهلية**» للدكتور حسين الحاج حسن الصفحة (١٥٥).

(٢) محمد محمود سامي حافظ «**تاريخ الموسيقى والغناء العربي**» الصفحة (٤).

(٣) سورة الأنفال، الآية: (٣٥).

(٤) ومن سجع الكهان في العصر الجاهلي قولهم: خذوا البعير الشدقم، فخضبوه بالدَّم، تكن لكم أرْض جرهم، جيران بيته المحرم «**الأغاني**» للأصبهاني (١٦/١٥) و «**أدب العرب في عصر الجاهلية**» لحسين الحاج حسن الصفحة (٢٥٠).

(٥) محمد محمود سامي حافظ «**تاريخ الموسيقى والغناء العربي**» الصفحة (٦). وهنري جورج فارمر «**تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر**» الصفحة (٤٥). وانظر سجع الكهان في «**أدب العرب في عصر الجاهلية**» لحسين الحاج حسن الصفحة (٢٤٩).

(القرن السادس الميلادي)[١]، والأعشى: ميمون بن قيس بن جندل، أبو بصير المعروف بأعشى قيس (ت ٧ هـ) وهو الأعشى الكبير[٢]، وكان مُغَنِّياً يُغَني شِعره على الصَّنْج، ولذلك سُمِّي صَنَّاجة العرب. وكان يطوف الجزيرة العربية يلقي أشعاره على إيقاع هذه الآلة؛ ويُعَدُّ مِن شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. أدرك الإسلام ولم يُسْلِم لحبه شرب الخمر. وقد وَفَدَ على الرسول ﷺ فَتَرَصَّدَهُ رِجالٌ من قُرَيْش، حتى إذا مَرَّ بهم تعَرَّضوا له قائلين: أين أردت يا أبا بَصِير؟ قال: أردتُ صاحبَكم لأُسْلِمَ، فقالوا: إنه ينهاكَ عن خِلال، ويُحَرِّمها عليك، وكلها بك رافق، ولك مُوافِق، فلما سألهم عن هذه الخلال، ما هُنَّ، قال أبو سفيان بن حرب: الزنى، والقِمار، والرِّبا، والخَمْر[٣]، ولم يذكر الغِناء بين هذه الخِلال[٤].

والنَّضْر بن الحارِث بن كلدة بن علقمة[٥] (ت ٢ هـ):

مِنْ بني عبد الدّار من قُرَيش، صاحب لِواء المشركين ببدر، كان من شجْعان قُرَيش ووجوهها، ومن «شياطينها» كما يقول ابنُ إسحاق[٦]، له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في الحِيرة. وقيل: هو أول مَنْ غَنَّى على العُود بألحان الفرس، وهو ابن خالة النبي ﷺ. ولما ظهر الإسلام استمرَّ على عقيدة الجاهلية، وآذى رسول الله ﷺ كثيراً، وكان إذا جَلَس النبي ﷺ مجلساً للتذكير بالله والتحذير مِنْ مثل ما أصابَ الأُمم الخالية مِنْ نقمة الله، جلس النضر بعده فَحَدَّثَ قريشاً بأخبار ملوك فارس ورستم واسفنديار ويقول: أنا أحسن منه

---

(١) أبو الفرج الأصبهاني «الأغاني» (٨/ ١٩٤)، (١٥/ ١٥٧، ١٥٨)، (٢٠/ ٣١٢)، (٢٢/ ٨١). طبعة دار الكتب.

(٢) لُقِّب بالأعشى لِضعفِ بَصَرِه، وعمي في أواخر عمره، مولده ووفاته في قرية «منفوحة» باليمامة قرب مدينة «الرياض» وفيها داره وبها قبره وأخباره كثيرة. أبو الفرج الأصبهاني «الأغاني» (٩/ ١٠٨ ـ ١٢٩)، خير الدين الزركلي «الأعلام» (٧/ ٣٤١).

(٣) أبو الفرج الأصفهاني «الأغاني» (٩/ ١٢٥ ـ ١٢٦) طبعة دار الكتب المصرية.

(٤) انظر تمام القصة في تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» (٣/ ٥٥ ـ ٥٦) المسألة السادسة من تفسير قوله: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ [البقرة: ٢١٩]. وليس في الرواية استقراء كامل للمحرَّمات، وعدم ذكر الشيء لا يدل بحال على القول بحل الغناء.

(٥) الجاحظ «البيان والتبيين» تحقيق هارون (٤/ ٤٣ ـ ٤٤) واسم قتيلة عنده «ليلى»، وابن حزم «جمهرة أنساب العرب» الصفحة (١١٧)، والنويري «نهاية الأرب في فنون الأدب» (٦/ ٢١٩، ٢٢٠، ٢٧١)، والزركلي «الأعلام» (٨/ ٣٣).

وانظر مقتله في كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (١/ ١٨ ـ ١٩) طبعة دار الكتب المصرية وقصيدة قتيلة فيه، والواقدي «المغازي» (١/ ١٤٩) تسمية من قُتِل من المشركين ببدر، والطبري «تاريخ الأمم والملوك» (٣/ ٥٩).

(٦) ابن هشام «السيرة النبوية» (١/ ٣٠٠) وعنده: وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول فيما بلغني: نزل فيه ثمان آيات من القرآن، قول الله عز وجل: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المطففين: ١٣].

حديثاً! إنما يأتيكم محمدٌ بأساطير الأولين[١]! وشهد وقعة بَدْر عام (٢ هـ) مع مشركي قريش، فَأسره المسلمون، وقَتَلُوه بالأثيل (قرب المدينة) بعد انصرافهم من الوقعة. وهو أبو «قتيلة» صاحبة الأبيات المشهورة التي منها:

ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ، ورُبَّما ... مَنَّ الفَتَى وهو المَغِيظُ المُحْنَقُ

رَثَتْهُ بها قبل إسلامها.

وقد عرضت قتيلة للنبي ﷺ وهو يطوفُ بالبيتِ وٱسْتَوْقَفَتْهُ، وجَذَبَتْ رداءَهُ حتى انكَشَفَ منكبه، وأنشدته أبياتها هذه، فَرَقَّ لها حتى دمعت عيناه، وقال: لو بَلَغَني شعرها قبل أن أقتله لوهبته لها[٢].

*** ومن المُغَنِّيات المشهورات في العصر الجاهلي[٣]:**

الخنساء وهُرَيْرة وخُلَّيْدَة، وبنت عفزر، وقَيْنتا عبد الله بن خَطل، وقِيان مِقْيَس بن عبد قيس، وقد كان لحمزة، عمّ النبي ﷺ رضي الله عنه قَيْنَة تُغَنِّيه، ففي حديث علي رضي الله عنه: «أصبت شارفاً من مغنم بدر، وأعطاني رسول الله ﷺ شارِفاً، فأنختهما بباب رجل من الأنصار وحمزة في البيت ومعه قينة تغنّيه[٤].

وكان من عادة نساء مكة أن يخرجنَ مع الجيش يغنّين له الأغاني الحماسيَّة يشجعنه على القتال، ففي يوم أُحُد، قامت هِندُ في النسوة اللائي معها، وأخذنَ الدُّفُوفَ يضربْنَ بها خلف الرجال لتحريضهم، فقالت هِندُ فيما تقول[٥]:

وَيْهاً بَني عبدِ الدّار ... وَيْهاً حُماة الأَدْبار

ضَرْباً بكل بتّار

وقالت:

نَحْنُ بناتِ طارقْ ... نَمْشِي على النَّمارِقْ

---

(١) القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» (٦/ ٤٠٥) عند تفسير قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنعام: ٢٥]. والألوسي «روح المعاني» (٢١/ ٦٧)، والواحدي «أسباب النزول» الصفحة (٢٥٩) طبعة دار المعرفة.

(٢) الحافظ ابن حجر العسقلاني «الإصابة في تمييز الصحابة» (٨/ ١٦٩ ـ ١٧٠) ترجمة (٨٨٤) من حرف القاف، وابن رشيق القيرواني «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» (١/ ١٣٧ ـ ١٣٨). ولا تدل هذه الحادثة على حِل الغناء لجهالة سندها.

(٣) انظر «القيان والغناء في العصر الجاهلي» للدكتور ناصر الدين الأسد طبعة دار المعارف بمصر الصفحة (٢٩، ٧٣، ٧٤، ٢٦٩): و «حضارة العرب في عصر الجاهلية» للدكتور حسين الحاج حسن الصفحة (١٥٩)، و «تاريخ الموسيقى والغناء والعربي» للدكتور محمد محمود سامي حافظ الصفحة (٨).

(٤) الزمخشري «الفائق في غريب الحديث» (١/ ٦٥٠)، والزبيدي «تاج العروس» مادة (شرف) ولا يحرم فعل الأمة على سيدها.

(٥) الواقدي «المغازي» الصفحة (١/ ٢٢٧).

مَشْيَ القَطا البوارقْ والمِسْكُ في المفارقْ
والدُّرُّ في المخانِقْ إنْ تُقْبِلُوا نُعانِقَ
ونَفْرشِ النّمارقْ أو تُدْبِروا نُفارِقْ
فِراقَ غيرِ وامِقْ[1]

وقبل أن أنهي دراسة الغناء والشعر الغنائي في العصر الجاهلي ونظراً لارتباط الشعر بالغناء، لا بُدَّ من التذكير أن العرب بلغوا رتبة عالية في قول الشِّعر قبل ظهور الإسلام، ولعلّ المعلقات السبع خير دليل على فطاحل شعرائهم[2]. وأنه كانت لهم ثلاثة أسواق كبرى أشبه بالمنتديات لإنشاده هي: سُوقُ عُكاظ (بين نخلة والطائف) وذُو المجاز (خلف عَرَفة) ومِجَنَّة (من بلاد الحجاز بمرّ الظهران)[3].

فهذه الأسواق وإن كانت تجارية في مقدماتها، إلاّ أنها في نتائجها انتهت إلى تطور عميق شمل كل شيء في حياة العرب، وخاصةً لغتهم في العصر الجاهلي.

ثانياً ـ الغناء والمعازف في عهد الرسول ﷺ[4]

بظهور الدين الإسلامي القويم، عَكَفَ الرسول ﷺ على نشر الدعوة مستمداً عونه وجهاده من المولى عز وجل، في وقتٍ كانت مكة والحجاز قد بلغتا درجة كبيرة من الانحلال الخلقي والفساد الاجتماعي. وكان النبي ﷺ معروفاً بحلاوة شمائله، وكرم أخلاقه، وتفانيه في رفع راية الإسلام.

---

(١) انظر «شرح التبريزي لحماسة أبي تمام» (٢/ ٣٥)، والواقدي «المغازي» (١/ ٢٢٥).

(٢) والمعلقات هي القصائد الطوال المختارة من الشعر الجاهلي، وأصحابها أشْعَر شُعراء الجاهلية، وقد أكْبَرها الناسُ في القديم والحديث، وتناقلوها جيلاً بعد جيل وعكفوا على شرحها ونقدها، وبيَّنوا ما فيها من فوائد لغوية، وأدبية ونحوية، وتاريخية، وحضارية.

وقد اختلف القدماء في اسمها وعددها، فمنهم من قال إنها عشر لا سبع. وقيل: إنما سميت «معلقات» لأنها كانت تعلق على ركن من أركان الكعبة بماء الذهب فخراً للعرب في الجاهلية، وإنما كان يتوصل إلى تعليق شعره من كان له قدرة على ذلك بقومه، وعصبيّة، ومكانة في مضر، كما يقول المؤرخ ابن خلدون في «مقدمته» وقيل بعدم التعليق، وإن اسمها «السموط» تشبيهاً بالعقود النفيسة التي تعلق في جيد الحسناء.

واختلفوا أيضاً في أصحابها فقيل: امرؤ القيس، وزهير، والنابغة، والأَعْشَى، ولَبيد، وعَمْرو بن كلثوم وطَرَفَة ومنهم من يحذف النابغة والأعْشى ويضع مكانهما عنترة، والحارث بن حلزة كما فعل الزَّوْزَني.

وانظر في ذلك محمد علي حمد الله في تعليقه على «شرح المعلقات» للزوزني، وأحمد حسن الزيات في «تاريخ الأدب العربي»، وناصر الدين الأسد في كتابه «مصادر الشعر الجاهلي»، والدكتور بكري شيخ أمين في «المعلقات السبع» الصفحة (١١ ـ ١٧) من المقدمة.

(٣) عرفان محمد محمود «أسواق العرب» الصفحة (٩٨).

(٤) انظر محمد محمود سامي حافظ «تاريخ الموسيقى والغناء العربي» الصفحة (٣٥) وما بعدها، وهنري جورج فارمر «تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي» الصفحات (٦٣ ـ ٨٥).

أ ـ ترخيصه ﷺ للغناء:

وهُناك أحاديث كثيرة وصحيحة تَدُلُّ على أن الرسول ﷺ أجاز الغِناء المعروف عند العرب كغريزة إنسانية ضمن ضوابط الأخلاق الإسلامية التي نزلت بها الرسالة، فأقره في مناسبات عِدَّة: كالزواج، وعند عودة الغائب سالِماً، وفي الأعياد التي تُمَثِّل أفراح المسلمين، وفي الجهاد، وعند التعب في الأعمال لِدَفْعِ الملل والسأم (كما في حفر الخَنْدق)، كما أقرَّت السُّنَّة الشريفة بالأحاديث الصحيحة التغني بالقرآن الكريم عند التلاوة مع جمال الصوت الذي هو نِعْمَةٌ مِنَ الله على صاحبه وزيادة في خلقه لقوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾[1]، كما راعت السُّنَّة الشريفة عادات العرب بالحُداء عند السفر في مضارب الصحراء، وكان للرسول ﷺ حادياً يُسَمَّى أنجشة[2]. ومن المعروف أن بلال بن رباح الحبشي مؤذن الرسول ﷺ كان نَدِيّ الصوت.

وأما القُرآن الكريم ينبوع الرسالة، هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد أعجز العرب جميعاً بِفَصاحتِهِ، وبلاغتِهِ، وأَثَرِه في نفوس سامعيه، وتحدّاهم أنْ يأتوا بِسُورَةٍ من مثله وهم فحولُ اللغة وأصحاب المُعَلَّقات، بينما كانت أحكامه تُحْدِثُ ثورة في المجتمع الجاهلي وتوطد في قلوب أبنائه المفاهيم الصحيحة للدين الجديد مثل التوحيد، والحلال والحرام، والأمر والنهي، والترغيب والترهيب.

وها هو الوليد بن المغيرة يصف موسيقى الجملة القرآنية أتمَّ وَصْفٍ بعد سماعه القرآن من النبي ﷺ وقد رقّ له فيقول لأبي جهل:

«وماذا أقولُ، فوالله ما فيكم رَجُلٌ أعلم بالشِّعْرِ مني، ولا بِرَجَزِهِ، ولا بِقَصِيدِهِ مني، ولا بأشعار الجِنّ، والله ما يُشبه الذي يقول شيئاً مِنْ هذا، ووالله إنَّ لقوله لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنه لمنيرٌ أعْلاهُ، مُثْمِرٌ أسفله، وإنه ليعلو وما يُعْلَى عليه، وإنه ليحطم ما تحته»[3].

ب ـ أما موقفه ﷺ مِنَ الشِّعْرِ[4]:

فقد كان مُجيزاً لما يخدم الدعوة الإسلامية، وقد اتَّخَذ لِنَفْسِه ﷺ ثلاثة مِنْ كبار شُعراء

---

(١) سورة فاطر، الآية: (١).

(٢) راجع تمام أدِلّة ذلك في الفصل الثاني من الرسالة، أدلة المجيزين للغناء المباح.

(٣) السيوطي «أسباب النزول» الصفحة (٣١٩) عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ [المدثر: ١١]. والحديث أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٠٧) وصححه عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القُرآن، فكأنه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم، إنَّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتتعرض لما قبله، قال: لقد علمت قريشٌ أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك مُنكر له، وأنك كارِهٌ له، فقال: وماذا أقول... » الحديث.
وأخرجه نحوه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣) وقال: ذكره البيهقي في «دلائل النبوة».

(٤) راجع تفاصيل ذلك في الصفحة (١١٧)، وقوله ﷺ: «الشعر كلام فَحَسَنُه حَسَنٌ وقبيحه قبيحٌ».

الأنصار[١] هم: حسان بن ثابت توفي قبل (٤٠هـ) في خلافة عليّ رضي الله عنه عن (١٢٠) سنة، وكعب بن مالك (ت ٥٠هـ)، وعبد الله بن رواحة (ت ٨هـ) يَرُدُّ بهم على شعراء قريش من المشركين كعبد الله بن الزِّبَعْرَى، وضرار بن الخطاب، وابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب[٢]؛ وقد أقام ﷺ مِنْبَراً لحسان في المسجد يقوم عليه قائماً يُنافِحُ عن رسول الله ﷺ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يقول: «اللهم أيِّدْهُ بِرُوح القُدُس» ـ أي جبريل ـ ما نافَحَ عن رسول الله ﷺ»[٣].

وقد كان حسان يهجو قرابَة النبي ﷺ الذين أصرّوا على الشرك، ومنهم أبو سفيان بن الحارث والرسول ﷺ يقول له: «كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فيقول: والله لأَسُلنَّكَ منهم كما تُسَلّ الشعرة من العجين فيقول له ﷺ؛ ائتِ أبا بكر، فإنه أعْلَمُ بأنساب القوم مِنك»[٤].

وعندما انتشرت الدعوة الإسلامية، انصرف الكثيرون من الناس عن وسائل اللهو والضرب الماجن، خاضعين إلى قانونٍ جديد هو القُرآن الكريم، لكن حرَّمَ البعضُ الغناء والموسيقى لاعتقادهم أنها تشغل المسلم عن العبادة والصلاة كما تَدَاوَلوا بعضَ الأحاديث الموضوعة للحيلولة دون سماع الغناء ومن هذه الأحاديث: «أول من تَغَنّى إبليس، ثم زمر، ثم حدا، ثم ناح...».

وتؤكد الآثار الصحيحة سماع كثير من الصحابة والتابعين والفقهاء والخلفاء والمُحَدِّثين الثقات[٥] للغناء والمعازف، وأما ما رُوِيَ مِنْ أنَّهُ أمر ﷺ بقَتْلِ قَيْنَتَيْن يوم فتح مكة فَرْتَنَى وصاحبتها، وهُما قَيْنَتَا ابن خَطل[٦]، فإنَّ ذلك يرجع إلى أنهما كانتا تغنيان بهجائه وهجاء الإسلام، وقد فرَّت إحداهما، وقُتِلَت الأُخرى، ولم يأمر ﷺ بقتلهما لأنهما مغنيتان، وإنما أمر بقتلهما لأنهما كانتا تُغنيان بشعر فيه هجاء للإسلام وله ﷺ.

---

(١) راجع تفاصيل ذلك في الفصل الخامس من الرسالة، أدلة المجيزين للغناء المباح: شُعراء الرسول ﷺ في الصفحة (٢٢٤).

(٢) انظر ابن الأثير «**أُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة**» (٢/ ٥) ترجمة حسان بن ثابت رقم (١١٥٣) وقول حسان في هجاء أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

وأنَّ سَنَامَ المجد من آل هاشمٍ ... بنو بنتِ مخزُومٍ ووالدُكَ العَبْدُ
ومن ولدَتْ أبناء زُهْرَة منهم ... كرامٌ ولم يقرَبْ كَعجائِزَكَ المَجْدُ

واسم أبي سفيان هذا المغيرة، وهو أخو عُتْبَة مُبارز عتبة بن ربيعة في بدر أول معركة في الإسلام عام (٢هـ). وانظر «**صحيح مسلم**» (٤/ ١٩٢٣) الحديث رقم (١٥٦).

(٣) راجع الفصل الثاني من الرسالة تحت عنوان: الغناء المُباح: شعراء الرسول ﷺ، وحديث حسان في نصرة الرسول ﷺ وتأييده بجبريل متفق عليه. أخرجه البخاري في «**الصحيح**» (٦/ ٣٠٤) الحديث (٣٢١٣)، ومسلم في «**الصحيح**» (٤/ ١٩٣٣) الحديث رقم (١٥١).

(٤) ابن الأثير «**أُسد الغابة**» (٢/ ٥).

(٥) كالإمام الزهري: إبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف (ت ١٨٤هـ). وقد روى له الشيخان راجع الزركلي «**الأعلام**» (١/ ٤٠).

(٦) ابن هشام «**السيرة النبوية**» (٤/ ٤١٠).

ت ـ وأما زواجه ﷺ بخديجة رضي الله عنها فهل احتفل به بغناء؟

إلى هذا مال هنري جورج فارمر في كتابه «**تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر**»، كما أكَّد أن الأمر كان كذلك عند زواج ابنته فاطمة رضي الله عنها من الإمام علي كرَّم الله وجهه[١].

نقل ذلك فارمر من كتاب «**الرحلات**» لأولياء چلبي (ت ١١٠٠هـ/ ١٦٨٠م) وهو مرجع تركي مُتَأَخِّر[٢]، وذكر كذلك أنَّ عمرو بن أمية ذميري، ويُسَمَّى أيضاً بأبي عمر أو عَمرو عيار، وكان ضارباً على الدائرة (آلة عزف) هو الصحابي الذي ضرب في زواج علي كرم الله وجهه[٣] كما غَنَّى أيضاً في نفس المناسبة ثَمَّة حمزة بن يتيم (يتيمة) وقبره ظاهِرٌ بالطائف؟! والصحابي بابا سونديك الهندي[٤]؟!

ولمّا لم نقف على هذا الكتاب، ووجدنا في كتاب فارمر عبارات تدل على جهل مُطْبَق بالشريعة كقوله في بلال الحبشي مؤذن الرسول ﷺ من أنه «يُعَدُّ الآن شفيعاً لكل من يلبي الدعوة إلى الصلاة[٥]؟».

وقوله في حمزة بن يتيم الصحابي (؟) «هو شفيع وولي كل المغنين[٦]؟...» فقد آثرنا التحذير من هذا الكتاب خصوصاً أننا لم نجد اسمي هذين الصحابيين في كتب الصحابة؟!

على أنَّ للدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه «**القيان والغناء في العصر الجاهلي**» رداً على إحدى ادعاءات فارمر المخطئة، فلينظر إليها من شاء[٧]، فكتاب فارمر وإن كان متخصصاً بدراسة الغناء والمعازف وحَوَى معلوماتٍ كثيرةٍ في موضوعهما إلاّ أنه خلط بين الصحيح والسقيم، والغث والسمين.

ث ـ تكبيرة العيد:

أما تكبيرة عِيدَي الفطر والأضحى وهي:

«الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد». زيد عليها بعد الزمن الأول، «وسبحان الله وبحمده بُكرةً وأصيلاً، لا إله إلا الله وحدَه، نَصَرَ عَبْدَه،

---

(١) هنري جورج فارمر «**تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر**» الصفحة (٧٤).

(٢) أولياء جلبي «**الرحلات**» ج (١) (٢) الصفحة (٢٢٦).

(٣) فارمر «**تاريخ الموسيقى العربية**» الصفحة (٨٦) نقلاً عن أولياء جلبي ج (١) (٢) الصفحة (٢٢٦، ٢٣٤).

(٤) فارمر «**تاريخ الموسيقى العربية**» الصفحة (٨٧) نقلاً عن أولياء جلبي ج (١) (٢) (١١٣، ٢٢٦، ٢٣٣، ٢٣٤) وقد كنا نبّهنا إلى أخطاء فارمر ومنها هذا الصحابي الهندي بابا سونديك وقد ترجم له الحافظ ابن حجر تحت اسم (رتن الهندي) الذي ادعى الصحبة وعاش (٦٠٠) سنة وحضر عرس فاطمة! انظر ابن حجر «**لسان الميزان**» (٢/ ٤٥٠) ترجمة (١٨٣٨).

(٥) فارمر «**تاريخ الموسيقى العربية**» الصفحة (٨٥).

(٦) «**المرجع نفسه**» الصفحة (٨٧).

(٧) ناصر الدين الأسد «**القيان والغناء في العصر الجاهلي**» الصفحة (٧٤ ـ ٧٥).

وأعَزَّ جُنْدَه، وهزم الأحزاب وحْدَه. . .» فهي سُنَّة[١].

ج ـ ومن مشاهير المغنيات في عهد الرسول ﷺ[٢]:

سيرين[٣] وحمامة[٤]: وهي مغنية من جواري الأنصار، وأرنب وجميلة[٥]، وزينب الأنصارية[٦].

ثالثاً ـ الغناء والمعازف في عصر الخلفاء الراشدين[٧] (حتى سنة ٤٠هـ)

أ ـ الغناء في عهد أبي بكر (ت ١٣هـ) وعمر (ت ٢٣هـ) رضي الله عنهما:

مع وفاة النبي ﷺ وتولي صاحِبَيْه الخلافة، انشغل المسلمون بحروب الرِّدَّة والفتوحات لتثبيت دعائم الإسلام في الداخل، والقضاء على أكبر مملكتيْن في عصرهما آنذاك وهما الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية.

ومع غمار المعارك ووطأة السيوف، لم تُعْطِ هذه الظروف العسكرية للفنون بالاً حتى كادت تنعدم، فقبائل العرب المرتدَّة جعلت سيدنا أبا بكر يشْحَذُ هِمَمِ المُقاتِلين المسلمين في المدينة المنورة خوفاً على الدِّين، وكتائب الجيوش المسلحة الإسلامية تخوض أخطر وأعظم معارك التاريخ مع أكبر معاقل الشرك والوثنية.

وكانت أيام الخليفتَيْن أيام زُهْدٍ وعِبادة، طُبِّقت فيها أحكام القُرآن والسُّنَّة الشريفة بدقة، وهي التي أملى نَشْرَها وأذاعها شعور الصحابة الكرام بواجبهم.

ويؤكد لنا ابن خلدون وهو من أعظم مُؤرخي الإسلام (ت ٨٠٨ هـ): «أن العرب كانوا

---

(١) ولتكبيرة العيدين أصل شرعي، روى الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (٣/ ٣٨٥) عن ابن عباس أنه كان يقول الله أكبر كبيراً، الله أكبر كبيراً، الله أكبر وأجَلّ، الله أكبر ولله الحمد. قال: والذي اشتهر بمصر التكبيرة المعروفة بنصها. . . قال (الزبيدي): وهذا هو المعتاد الآن ومن قبل الآن، وفيه الجمع بين الزيادات وهو حسن، والصلاة على النبي ﷺ بالوجه المذكور، وإن لم يرد فيه نقل فهو حسن أيضاً، والله أعلم.
وفي «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٧٢ ـ ٧٣) طبعة دار الفكر، كتاب صلاة العيدين، (٦) ـ التكبير من أي يوم هو إلى أي ساعة و (٧) ـ كيف يكبر يوم عرفة: أن التكبير عن علي كان من صلاة الفجر حتى بعد العصر من آخر أيام التشريق. وعن إبراهيم يقولون: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

(٢) عبد الحي الكتاني «التراتيب الإدارية» (٢/ ١٢٤، ١٢٥).

(٣) ابن حجر العسقلاني «الإصابة في تمييز الصحابة» (٨/ ١١٨) ترجمة (٦٠٦).

(٤) «المصدر نفسه» (٨/ ٥٣) ترجمة (٣٠٠).

(٥) ابن حجر «الإصابة» (٨/ ٤) ترجمة (٢٨)، وانظر كحالة «أعلام النساء» (١/ ٢٦).

(٦) «المصدر نفسه» (٨/ ٩٩) ترجمة (٥٠٦).

(٧) انظر شوقي ضيف «الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية» الصفحة (٤٤) وما بعدها، وهنري فارمر «تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر» الصفحة (٨٨) وما بعدها، ومحمد محمود سامي حافظ «تاريخ الموسيقى والغناء العربي» الصفحة (٣٧).

مِنَ البداوة والغضاضة على الحال التي عرفت لهم مع غضارة الدين وشِدّته في ترك أحوال الفراغ وما ليس بنافَع في دينٍ ولا معاش، فَهَجرُوا ذلك شيئاً»[١]، فلم يُعْطِ الخليفتان للغناء والمعازف دوراً مهماً قَلّ، ولم يولياهما اهتماماً فقد كانا في شاغلٍ عنها بالجهاد.

ومن المعلوم أنهما عاشا أبْسَط عيشة وأبْعَدَها عن التَّرَف، ثم تطلبا مثل هذا في الآخرين، وإن المتتبع لمناقِب هذين الرجلَيْن في بطون كتب التاريخ والسيرة ليلحظ بوضوح ما عُرِفا به من وَرَعٍ حتى أدَّى إلى ترك الحلال مخافة الوقوع في الحرام، مما يجعلنا نُقِرّ بأنه قَلَّ ما يجود الزمان بأمثالهما كـ «رؤوساء جمهورية» كما هو معروف في تعريفاتنا المعاصرة[٢].

*** إقرار الصدّيق قطع يَدَي قَيْنَتَيْن ونزع أسنانهما والعِلَّةُ في ذلك:**

ولا نكاد نسمع في عصر أبـي بكر رضي الله عنه شيئاً عن الغناء والمغنين سوى ما ذكره الطبري في «**تاريخه**» والبلاذُرِيُّ: من أنَّ المهاجر بن أبـي أُمية لمّا قَطَع يدي قَيْنَتَيْنِ هُما «الشجاء الحضرمية» و «هند بنت يامين اليهودية» ونزع أسنانهما حتى لا تغنيا، فَعَلَ ذلك عندما دانت له اليمن، أقرَّه الخليفة أبو بكر رضي الله عنه على ذلك ورضي عن عَمَلِه، ولم يَصْنَعْ ذلك لأنهما كانتا تغنيان قط، وإنما لأنهما كانتا تغنيّان بهجاء المسلمين وذم الإسلام[٣].

*** إنكار أبي بكر وعمر رضي الله عنهما الغناء ورجوعهما إلى قوله ﷺ**

على أن الأحاديث الصحيحة تَدُلُّ أن الخليفتين كانا يُنكرانِ الغناء، بل ويَكْرَهانه. ففي الحديث: «أن أبا بكر دخل على عائشة أم المؤمنين ابنته، وعندها جاريتان في أيام مِنًى تُدَفِّفان

---

(١) ابن خلدون «**المقدمة**» الصفحة (٤٢٧).

(٢) قال الصِّدّيقُ لزوجته: أما إنّا منذ ولِّينا أمر المسلمين، لم نأكل لهم ديناراً ولا دِرْهماً، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم، ولبسنا من خشن ثيابهم، وليس عندنا من فيء المسلمين إلاّ هذا العبد، وهذا البعير، وهذه القطيفة، فإذا مِتُّ فابعثي بالجميع إلى عمر. فلما مات بعثته إلى عمر، فلما رآه بكى حتى سألت دموعه إلى الأرض، وجعل يقول: رحم الله أبا بكر، لقد أتْعَبَ مَنْ بعده، ويكرر ذلك وأمر برفعه.

وقيل: إنَّ زوجته اشتهت حلواً فقال: ليس لنا ما نشتري به؟ فقالت: أنا أستفضل مِنْ نفقتنا في عِدَّة أيام ما نشتري به. قال: افعلي، ففعلت ذلك، فاجتمع لها في أيام كثيرة شيء يسير، فلما عَرَّفته ذلك ليشتري به حلواً، أخذه فَرَدَّه إلى بيت المال وقال: هذا يفضل عن قوتنا، وأسْقِط مِنْ نفقته بمقدار ما نقصت كل يوم، وغرمه لبيت المال من ملك كان له. ابن الأثير «**الكامل في التاريخ**» (٢/ ٤٢٣).

ورأى الفاروق لَحْماً مُعَلّقاً في يد الصحابـي الجليل جابر بن عبد الله، فقال: ما هذا يا جابر؟ قال: اشتهيت لَحْماً فاشتريته، فقال عمر: أوَ كُلَّما اشتهيت اشتريت يا جابر؟ ما تخاف الآية ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: ٢٠]. المحبّ الطبري «**الرياض النضرة في مناقب العشرة**» (٢/ ٣٩)، وانظر علي الطنطاوي «**أخبار عمر**» الصفحة (٢٨٠) وفي هذا الكتاب فوائد عظيمة.

ودخل عمر بن الخطاب على حفصة ابنته، فقدَّمت إليه مَرَقاً بارداً وخبزاً، وصبَّت في المرق زَيْتاً، فقال. أُدمان في إناءٍ واحد! لا أذوقه حتى ألقى الله عز وجل. ابن الأثير «**أُسْدُ الغابة**» (٤/ ١٥٧).

ويصف الإمام علي كرَّم الله وجهه ثيابه فيقول: رأيت لعمر بن الخطاب إزاراً فيه إحدى وعشرون رقعة!...» ابن قتيبة «عيون الأخبار» (١/ ٢٩٧) طبعة دار الكتب.

(٣) الطبري «تاريخ الأمم والملوك» (٣/ ٣٤١) والبلاذري «فتوح البلدان» الصفحة (١١١).

وتضربان والنبي ﷺ متغشٍّ بثوبه، فأنتهرهما أبو بكر، فكشف النبي ﷺ عن وَجْهِهِ وقال: دَعْهُما يا أبا بكر، فإنها أيامُ عيد»[١] . وهذا الحديث يَدُلُّ على ترخيص وإباحة الغناء بأمر رسول الله ﷺ، وزَجْرِ خليفته الأول أبي بكر بقوله: «دعهما».

وفي الحديث الآخر عن عائشة: «رأيتُ النبي ﷺ يسترني وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، فَزَجرهم عمر، فقال النبي ﷺ: دَعْهُم، أمْناً بني أرفدة[٢] ».

وهذا يدل على زَجْرِ خليفته الثاني عمر رضي الله عنه، فَرَجَع خليفتاه عن رأيهما إلى قوله ﷺ.

وربما كان ذلك ـ أي كُرْهُ الخليفتين للغِناء ـ أحد الأسباب التي جعلت الغناء لا يشيع في عصرهما، ويغلب على الظنّ أنهما لم يُكِنّا له حبّاً شديداً.

ويروي ابن الفقيه، أحمد بن إسحاق بن إبراهيم الهمداني (ت ٣٦٥هـ): «أنَّ عمر بن الخطاب خَرَج يوماً: فإذا جوارٍ يضربْنَ بالدُّف ويُغنّينَ ويَقُلْنَ:

تَـغَنَّيْـنَ تَـغَنَّيْـنَ فَـلِلَّهِـوِ خُـلِـقْتُـنَّ

فجعل يضربُ رؤوسهُنَّ بالدُّرة ويقول:

كَـذَبْتُـنَّ، كَـذَبْتُـنَّ فَـأخْـزى اللَّـهُ شيطـانـاً رَمَـى هـذا إليكُـنَّ[٣]

على أن سيدنا عمر رضي اللَّهُ عنه لم يَضْرِبْهنَّ للغناء مِنْ حيثُ هُوَ، وإنما ضَرَبَهُنَّ لِدَعوتهنَّ إلى اللهو وقولهن: للهو خُلِقْتُنَّ.

وقد رُويَ أنه مَرَّ بِعَزْفِ دُفٍّ، فقال: ما هذا؟ قالوا: خِتان! فَسَكَتَ[٤].

كما رُوي أنه استمع إلى اثنيْنِ مِنْ أشراف مكة مِنْ قُرَيْش وأحدهما ابنه عاصِم وآخر

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢/ ٤٤٠)، (١٣)ـ كتاب العيدين، (٢)ـ باب الحراب والدرق يوم العيد الحديث رقم (٩٤٩) وأخرجه في «الصحيح» (٢/ ٤٧٤) الحديث رقم (٩٨٧)، ومسلم في «الصحيح» (٢/ ٦٠٨) الحديث رقم (٨٩٢) ، وأخرجه النسائي في «السنن» (٣/ ٢١٨) الحديث رقم (١٥٩٦).

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦/ ٩٢)، (٥٦)ـ كتاب الجهاد، (٧٩)ـ باب اللهو بالحراب، الحديث رقم (٢٩٠١) بلفظ: «بينما الحبشة يلعبون عند النبي ﷺ بحرابهم دَخَل عمر فأهوى إلى الحصى فحصبهم بها فقال: دَعْهُم يا عُمَر»، والنسائي في «السنن» (٣/ ٢١٧)، (١٩)ـ كتاب صلاة العيدين، (٣٥)ـ باب اللعب في المسجد يوم العيد ونظر النساء إلى ذلك، الحديث رقم (١٥٩٥) بلفظ: «دخل عمر والحبشة يلعبون في المسجد، فزجرهم عُمر رضي الله عنه»، ومسلم في «الصحيح» (٢/ ٦١٠) الحديث رقم (٨٩٣)، وانظر «السنن» للترمذي (٥/ ٦٢١) الحديث (٣٦٩١) وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه بلفظ: «كان رسول الله ﷺ جالساً فسمعنا لغطاً وصوت صبيان. . .» الحديث. وقوله «أمناً» يعني من الأمن.

(٣) ابن الفقيه «المكتبة الجغرافية العربية» (٥/ ٤٣) وانظر شوقي ضيف «الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية» الصفحة (٤٤)، وهنري جورج فارمر «تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر» الصفحة (٩١ ـ ٩٢)، وناصر الدين الأسد «القيان والغناء في العصر الجاهلي» الصفحة (٥٠).

(٤) حديث ضعيف ذكره الزبيدي في «تاج العروس» مادة (ع ز ف).

يُغنِّيان غناء النَّصْب، فقال: أعيدا عَلَيَّ، فأعادا عليه، فقال لهُما: أنتما كحمارَيْ العباديِّ، قيل له: أيُّ حِمارَيْك شرّ؟ قال: ذا ثم ذا. وكان نوع الغناء في هاتين المناسبتين (الركباني) مِن جنْسِ (النَّصْب) الذي عُدَّ ضِمناً من المحلل المباح[١].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنابغة الجعدي[٢] (ت نحو ٥٠هـ): أسْمِعني بعضَ ما عفا اللَّهُ لكَ عنه مِنْ غنائِكَ، فأسمعه كلمةً له، قال: وإنك لقائلها؟ قال: نعم، لطالما غنَّيتُ بها خَلْفَ جِمالِ الخطاب (أي والد عمر).

وهذه العِبارة «بعض ما عفا الله لك من غنائك» توضح بأَجْلى ما يمكن موقف سيدنا عمر رضي الله عنه من الغناء. وكان عمر يقول: الغناء زاد الراكب[٣]، وكان إذا سمع الحادي قال: لا تُعَرِّض بذِكر النِّساء[٤].

ومهما يكن مِنْ أمر، فإنَّ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مُتَشدِّداً كَسَلَفِهِ أبي بكر، فلم يَتَّسِعْ الغِناء في عصرهما[٥]، وزُهْدُ سيّدنا عمر معروف، ومن المعلوم أنه كان يقنع مِنْ عَيْشِهِ بالجلوس على عتباتِ مسجد المدينة، وأكل خبزه وتمراته من كَدِّ يمينه.

*** أحوال المسلمين والعرب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في عصر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما:**

ويجيبنا البَلاذُرِيُّ واليَعْقُوبِيُّ على هذا بقولهما: قد أصبحت المدينة المنوَّرة في عصر

---

(١) ابن عبد ربه «العقد الفريد» (٧/ ٧).

(٢) وهو قيس بن عبد الله بن عدس، أبو ليلى، الشاعر، الصحابي، وسُمِّي «النابغة» لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر، ثم نبغ فقاله. الزركلي «الأعلام» (٥/ ٢٠٧).

(٣) البيهقي «السنن» (٥/ ٦٨).

(٤) «المصدر نفسه» (٥/ ٦٧).

(٥) ومما يروى أن رجلاً اشتكى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن إمامَ يُغَني، فقال له سيدنا عمر: لنذهب ونستمع غناءه فذهبا وسمعاه يقول:

وفؤادي كلما عاتبته ... عاد في اللذاتِ يَبْغِي تَعَبِي
لا أراد الدهر إلاّ لاهياً ... في تماديه فقد برح بي
يا قرين السُّوءِ ما هذا الصبا ... ذَهَبَ العُمُر كذا باللعبِ
وشبابٌ بانَ مِنّي فَمَضَى ... قبل أن أقضي منه أَرَبِي
نفسي لا كُنتُ ولاكان الهَوَى ... اتَّقِي الله وخافي وآرهبي

فتأثّر سيدنا عُمَر بذلك، وبكى حتى ابتلَّت لحيته وصار يقول:

نفسي لا كنت ولا كان الهَوَى ... اتَّقِي اللَّهَ وخافي وآرهبي

ثم قال: مَنْ كان منكم مُغَنِّياً فليغَنَّ هكذا.

انظر عبد الكريم عكاش «حكم الغناء في الإسلام» الصفحة (١٦١)، وفيه أن عُمَر كان لا يُفَضِّل على شعر ضِرار إلاّ أن يغني الإنسان بشعْرٍ من شِعْرِهِ. فعن خوَّات بن جُبَيْر قال: خرجنا حُجّاجاً مع عمر، فسرنا في ركب، منهم أبو عبيدة بن الجرَّاح، وعبد الرحمن بن عوف. قال: فقال القوم: غَنِّنا يا خوَّات، فَغَنَّاهم، فقالوا: غَنِّنا مِنْ شِعْرِ ضرار بن الخطاب، فقال عُمَرُ: دعوا أبا عبد الله يتغَنَّى مِنْ بنَّيات فؤاده (يعني من شعره). فما زلتُ أغنيهم حتى إذا كان السَّحَر، قال عُمر: لسانك يا خوَّات، فقد أسحرنا». محمد رواسي قلعجي «موسوعة فقه عمر بن الخطاب» الصفحة (٦٧١).

الخلفاء الراشدين عاصمة الدولة الإسلامية، فقد اجتاح العرب بلاد الفرس والشام ومصر، وأخذت الأموال تسيل إلى المدينة منذ وُلِّيَ أبو بكرٍ حتى مِنْ داخل الجزيرة نفسها[١].

ولما جاء عمر، جاءته كنوز الأرض مما كان يفتحه العرب، فكان يوزع هذه الكنوز على المسلمين[٢]، وإنما نذكر هذا لندل على مدى ما كان يصيبه أهل المدينة من أموالٍ فى عصر الخلفاء الراشدين عاصمة الدولة الإسلامية، فقد اجتاح العرب بلاد الفرس والشام ومصر، موجة هذه الفتوح والحروب في ارتفاعها طوال حكم عمر رضي الله عنه حتى إذا كان عصر عثمان رضي الله عنه أخذت تتوقف، ومع ذلك فالبلاذري يروي أن عبد الله بن سعد بن أبـي سَرْح صالَحَ بطريق إفريقية بعد فتحها في عهد عثمان رضي الله عنه سنة (٢٧هـ) على ثلاث مائة قنطار من الذهب، وقَدَّر ذلك بعضُ المؤرخين بمليونين ونصف من الدنانير[٣]؛ ويُقالُ: إن عُثمان أمرَ لمروان بن الحكم بخمس هذا المال[٤] بعدما زوَّجه ابنته.

ولم تَدْخُل الأموال فقط المدينة المنوَّرة، بل دَخَل معها الرقيق الذي كان يُسْبَى في الحُروب مِنْ رجال ونساء. وأول رقيقٍ دَخَلَ المدينة كان في عهد عمر رضي الله عنه، إذْ أرسل إليه معاوية بأربعة آلاف مِنْ سبي قَيْسارية[٥] وما مِنْ ريبٍ في أنَّ هذا الرقيق كان يفهم مِنَ الحضارة ألْواناً لا يفهمها أهل المدينة القُدَماء، وقد كان منه فُرْس وشاميون وإفريقيون، فَأَخَذوا يُؤثِّرُونَ في حياة أهل المدينة تأثيراً عميقاً، وهو تأثيرٌ بدا طفيفاً أول الأمر، وخاصة في عصر عمر، إذ كان يدعو إلى الارتباط بالحياة القديمة وعدم الانفصال عنها[٦].

---

(١) وفى ذلك يقول اليعقوبي: فقد كان أول مالٍ قَسَّمَهُ أبو بكرٍ في الناس ما وجَّهَ به العلاء الحضرمي من فتح بعض نواحي البحرين، وقد فَرَّقَهُ في الناس جميعاً أحراراً وعبيداً، ديناراً لكل إنسان. اليعقوبي «التاريخ» (٢/ ١٣٤).
وأخذت أموال الفيء تنهال على المدينة المنورة بعد ذلك من فارس والشام، فكان أبو بكر يقسم بين الناس بالسوية ولا يفضل أحداً على أحد. اليعقوبي «التاريخ» (٢/ ١٣٦).

(٢) يقول البلاذري: رَوَى الرواة أن أبا هريرة وَفَدَ عليه من البحرين في أول خلافته فقال له: ما جئت به؟ قال: جئت بخمسمائة ألف، قال: هل تدري ما تقول؟ قال: مائة ألف ومائة ألف وعَدَّ خمساً، فخطب عمر في الناس، إنه قدم علينا مالٌ كثير، فإنْ شئتم أن نعدَّه لكم عدًّا، وإنْ شئتم أن نكيله لكم كَيْلاً. البلاذري «فتوح البلدان» الصفحة (٤٣٥ ـ ٤٤٠) ذكر العطاء في خلافة عمر بن الخطاب، بتحقيق رضوان محمد رضوان.
وقد رُوِيَ أن الأسلاب قُسِّمَت بعد موقعة القادسية التي قُتِل فيها رُسْتُم، فبلغ سهم الفارس أربعة عشر ألفاً، وسهم الراجل سبعة آلاف ومائة. اليعقوبي «التاريخ» (٢/ ١٤٥) أيام عمر بن الخطاب.
ولمّا كانت سنة (١٥هـ) في خلافة عمر، وقد مُلِكت كنوز الأكاسرة، وحمول الذهب والفضّة والجواهر النفيسة والثياب الفاخِرة، لم يكن عُمَر يَعْرِف كيف يضبط ذلك، فأشار عليه بعضُ مرازبة الفرس ممن كان بالمدينة لمّا رأى حيرته بدواوين الأكاسرة، جميعُ دَخْلهم وخَرْجهم مضبوطٌ فيه، فتنبّه عمر رضي الله عنه ودَوَّن الدواوين. شوقي ضيف «الشعر والغناء في المدينة ومكة» الصفحة (٢٥).

(٣) البلاذري «فتوح البلدان» الصفحة (٢٢٨)، فتح إفريقية.

(٤) وهذه الرواية ضعيفة ذكرها اليعقوبي في «التاريخ» (٢/ ١٦٦) أيام عثمان بن عفان.

(٥) البلاذري، «فتوح البلدان» الصفحة (١٤٧) أمر فلسطين وفتح قيسارية.

(٦) الجهشياري «الوزراء والكتاب» الصفحة (١٩) طبعة الحلبي، و انظر الطبري «تاريخ الأمم والملوك» (١/ ٢٧٥٠) المجلد الرابع، الصفحة (٢٠٩).

ب ـ الغناء والمعازف في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (ت ٣٥هـ):

وقد طَرَأَ في زمانه تبدّل عظيم في حياة العرب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ـ فقد اكتظت المدينة المنورة بالكنوز والأموال العظيمة التي غَيَّرت أهلها مما كانوا عليه من تقشف، بدليل ما تركه كبار الصحابة من ثروات[١].

ـ كما اكتظت بجماهير الأسرى والرقيق التي أخذت تتعرَّبُ من فُرْسٍ وشاميُّون وإفْرِيقيُّون، كان لهم الأثر الكبير في تلوين حضارة المجتمع المدني بما عَرَفوا في بلدانهم.

ولم تظهر نتائج ذلك في عصر سيدنا عمر رضي الله عنه وإنما ظهرت في عهد عثمان، إذ هدأتِ الفتوح، وأخذ العرب يستجمون منها.

ويُلاحِظُ المسعودي اتساع ثراء المدينة منذ عصر عثمان والرفاهية معه، ولم تكن معروفة في عصر عمر، ومن مظاهرها الواضحة في المدينة المنورة اتِّخاذ القصور وبناؤها بالآجرِّ والجِصِّ، واتخاذ أبوابها مِنَ السّاج، وبدأ بذلك ـ فيما يُقال ـ عثمان نفسه، وتَبِعَهُ أعيان المدينة مثل سعد بن أبي وقاص، وطلحة، والمقداد، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم أجمعين[٢].

وهكذا بَنَى أشراف المدينة المنورة القصور التي أخذت تكتظ منذ عصر عثمان رضي الله عنه بالمغنين الذين جلبهم أهل المدينة من قريش والأنصار إليها، فكل شخص كان يأتي لنفسه بمغنٍ أو مغنية، وأحياناً يأتي بجوقة من المغنين والمغنيات.

---

(١) فإن صح ما يروونه، فإن طلحة بن عبيد الله خَلَّف (٣٠٠) بهار من ذهب وفضة، والبهار مزود من جلد عجل. ابن عبد ربه «**العقد الفريد**» مقتل طلحة بن عبيد الله (٥/ ٦٧) بتحقيق محمد سعيد العريان.
وفي هذا يقول المسعودي ـ إن صَحَّ ما يقول ـ إنَّ الزبير خَلَّفَ (٥٠,٠٠٠) دينار.
بينما خَلَّف زيد بن ثابت (١٠٠,٠٠٠) دينار.
ومات يعلى بن مُنية عن (٥٠٠,٠٠٠) دينار، وديون وعقارات قيمتها (٣٠٠,٠٠٠) دينار.
وبلغ الربع في تركة عبد الرحمن بن عوف (٤٨٠,٠٠٠) دينار.
أما عثمان رضي الله عنه فقد خَلَّف (١٥٠,٠٠٠) دينار و (١,٠٠٠,٠٠٠) درهم وعقارات قيمتها (١٠٠,٠٠٠) دينار.
وقد عقَّب المسعودي بعد ذكره لهذه التَّركات بقوله: وهذا بابٌ يَتَّسِع ذكره، ويكثر وصفه، فيما تُملِّك من الأموال في أيام عثمان رضي الله عنه ولم يكن ذلك في عصر عمر... وحَجَّ عمر، فأنفق في ذهابه ومجيئه إلى المدينة (١٦) ديناراً، وقال لولده عبد الله: قد أسْرَفْنا! لكننا نبهنا أن مثل هكذا أرقام قد ذكرها المسعودي المتهم بالاعتزال والتشيّع لا يصح منها العُشْر، وهذا ـ إن صَحَّ ـ إنما هو نمو طبيعي للأموال التي انهالت على المدينة المنورة في عصر عمر رضي الله عنه، وما جناه قوّاد الحرب في أثناء الفتوحات. المسعودي «**مروج الذهب**» (٢/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣) طبعة دار المعرفة. وراجع نقد المصادر وقد سبق في الصفحة (٥٢).

(٢) المسعودي «**مروج الذهب**» (٢/ ٣٤٢) وما بعدها، وانظر الطبري «**تاريخ الأمم والملوك**» (٤/ ٢٨٤) حيث بَلَغ بناء الدور في هذا العهد سَلْعاً. والسَّلْعُ: الجَبَلُ، انظر «**تاج العروس**» للزبيدي (٢١/ ٢١١) مادة (س ل ع) وفي الحديث: أن أبا ذرّ قال: أمَرَني رسول الله ﷺ أن أخرج من المدينة إذا بلغ البناء سَلْعاً، فقال له عثمان فانفذ لما أمَرَكَ به. راجع «**تاريخ الطبري**» (٤/ ٢٨٤).

ت ـ الغناء في عهد علي رضي الله عنه (ت ٤٠هـ):

وهو وإن كان شاعراً وعَلَماً من عُلماء الأدب، فإن الواقع العسكري في حياته وظروف الفِتن التي بدأت في عهد سابقه سيدنا عثمان قد جعلت ولايته مليئة بالحروب الداخلية وهي التاريخ المظلم في سجل الإسلام، كوقعة الجمل عام (٣٦هـ) ومعركة صفين (٣٧هـ) بالإضافة إلى حربه كرّم الله وجهه مع الخوارج.

وقد لَمَعَ في عصره طُوَيْس (ت ٩٢هـ) المُغَنِّي، وكثيرٌ من الموالي (أي الخَدَم) الأجانب المغنين، وهكذا أخذت المدينة المُنَوَّرة تستعدّ لأن تُصْبِحَ أهم مراكز الغِناء في العصر الأُمَوي.

وسنتعرض لأهم أسماء المغنين الموالي، الذين ظهروا في عهد الخلفاء الراشدين والذين تَرَكوا بصماتٍ كبيرة في صفحة المجتمع الإسلامي الذي تطور فيه الغناء في العصر الأموي تطوّراً عظيماً.

وقد قيل بحقّ: «**إنَّ أَصْلَ الغِناء في المدينة كان عند المخنثين**»[1]، وكان هؤلاء طبقة تقصد النساء فَيَصْبغونَ أيديهم بالخضابِ مِثْلَهُنَّ، وَيَتخَلَّقونَ بأخلاقِهِنّ.

ث ـ ومن أشهر المغنين في عصر الخلفاء الراشدين:

طُوَيس[2] (١ ـ ٩٢ هـ) مولى بني مخزوم، وقِنْد (فِنْد) مولى سعد بن أبي وقّاص[3] (وقيل مولى عائشة ابنته). ونشيط الفارسي[4]، مولى الصحابي عبدالله بن جعفر بن أبي طالب المتوفى سنة (٨٠ هـ).

رابعاً ـ الغناء والمعازف في العصر الأموي (٤١ ـ ١٣٢هـ)

أ ـ مكة والمدينة من أهم مراكز الغناء

تطوّر الغناء في العصر الأموي تطوراً كبيراً بسبب الترف، وكثرة الأموال، والفراغ، حتى عُدَّت مكة والمدينة من أهم مراكز الغناء. وانتقل مركز الخلافة إلى دمشق، وانتشر شعراء الغزل في الحجاز أمثال عمر بن أبي ربيعة (ت ٩٣هـ) والفرزدق، همام بن غالب (ت ١١٠هـ)، ومقيس بن ذُرَيح (ت ٦٨هـ)، وكُثيِّر عَزَّة (ت ١٠٥هـ)، وجميل بُثَيْنة (ت ٨٢هـ) فمال الناس إلى أشعارهم وتغنوا بها، كما اشتهرت سُكَيْنَة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب

---

(١) وهو قول أبي الفرج الأصبهاني في كتابه «**الأغاني**» (٤/ ٢٧٣) طبعة دار الكتب.

(٢) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (٣/ ٢٧)، وابن خلكان «**وفيان الأعيان**» (١/ ٤٠٠)، والنويري «**نهاية الأرب في فنون الأدب**» (٤/ ٢٤٦)، والزركلي «**الأعلام**» (٥/ ١٠٥).

(٣) الأصبهاني «**الأغاني**» (٥/ ٩٧) و (١٧/ ٢٧٠)، وابن عبد ربه «**العقد الفريد**» (٧/ ٣١) وقيل في اسمه (فند) بالفاء. وانظر شوقي ضيف «**الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية**» الصفحة (٤٥)، وابن منظور «لسان العرب» (٢/ ١٧٤) مادة (غوث).

(٤) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (٨/ ٣٢١).

(ت ١١٧هـ) سيِّدَة نساء عصرها وكانت تجالس الأجلَّة من قريش وتجمع إليها الشعراء، تسمع كلامهم وتناقشهم.

وقد أخذ الأمويون كما أخذ العباسيون من بعدهم نظام مجالسهم عن الفُرْس، وقد وصف الجاحظُ في كتابه «**التاج في أخلاق الملوك**» في باب المنادمة هذه المجالس في عهد أردشير بن بابك، فقال: إنه كان أوَّل من رتَّب الندماء فجعلهم ثلاث طبقات: الأساورة (أي الفرسان) وأبناء الملوك في الطبقة الأولى على عشرة أذرع من الملك من الستارة، وبطانة الملك وندماؤه ومُحَدِّثوه من أهل الشرف والعلم في الطبقة الثانية، وأهل الهزل والبطالة وهم المضحكون في الطبقة الثالثة[١].

وكان الخلفاء الأول يستمعون في أوقات فراغهم لقصائد الشعر، ولم يلبث الغناء أن حَلَّ محلّ الشعر. وكانت مواضيع الغناء: مَدْحَ الخُلَفاء، والفَخْر، والغَزَل، وكان بعض الخلفاء الأمويين لا يظهرون للندماء بل كان بينهم حجاب يخفي ما يفعله الخلفاء إذا طربوا، بينما كان بعضهم الآخر يظهر لندمائه كيزيد بن عبد الملك (ت١٠٥هـ) والوليد بن يزيد[٢] (ت١٢٦هـ).

ب ـ في الحجاز: فراغ وأموال وموالي مخنثين ورغبة أهل المدينة[٣]:

وساعد على ذلك أن أشرافها ونبلاءها كانوا يطلبون الغناء، بل نَرَى منهم من جعل داره أشبه بفندق للمغنين على نحو ما هو معروف عن عبد الله بن جعفر (ت ٨٠هـ) سيّد بني هاشم، فقد كان الناس يَؤُمّونَ دارَه لسماع من بها من المغنين والمغنيات[٤].

وأخذ المغنون يُؤلِّفون طبقة مميّزة في ذاك العصر وبَرَعَ فيه مُغَنٍّ هو مالك بن أبـي السمح الطائي، وحَدَّث حسين بن دَحْمان الأشقر ـ إن صَحَّ حديثه ـ قال: كنت بالمدينة، فخلا لي الطريق وسط النهار فجعلت أتغَنَّى:

مـا بـالُ أهلـكِ يـا رَبـابُ خُـزْراً كـأنهـمُ غضـابُ

قال: فإذا خَوْخَةٌ قد فُتِحَت، وإذا وَجْهٌ قد بدا، تتبعه لِحْيَةٌ حمراء، فقال: يا فاسِق، أسأت التأدية، ومنعت القائِلَة، وأذَاعْتَ الفاحِشة، ثم اندفع يغنيه، فظننت أن طُوَيْساً قد نُشِرَ بعينه، فقلتُ له: أصلحك الله، من أين لك هذا الغناء؟ فقال: نشأتُ وأنا غلام حَدث، أتبع

(١) الجاحظ «**التاج في أخلاق الملوك**» الصفحة (٢٥ ـ ٢٦).

(٢) «**المصدر نفسه**» الصفحة (٣٢).

(٣) انظر شوقي ضيف «**الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية**» الصفحة (٤٦) وما بعدها، وهنري جورج فارمر «**تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي**» الصفحة (١١٤) وما بعدها، ومحمد محمود سامي حافظ «**تاريخ الموسيقى والغناء العربي**» الصفحة (٤٩) وما بعدها.

(٤) شوقي ضيف «**الشعر والغناء في المدينة ومكة**» الصفحة (٣٢ ـ٣٣) نقلاً عن كتاب «**الأغاني**» لأبـي الفرج الأصبهاني (٥/ ٨١) طبعة دار الكتب و «**العقد الفريد**» لابن عبد ربه (٧/ ١٠، ١٥ ـ١٧)، وهذا الكلام يُرْوى بسندٍ منقطع، فالرواية عن هذا الصحابي الجليل إذاً باطِلة، وقد سبق التحذير في نقد المصادر والمراجع من كتب الأدب هذه، وكيف أنها تسيء إلى تاريخنا، فلتحذر.

المغنين، وآخذ عنهم فقالت لي أُمّي: يا بُنَيّ، إنَّ المغني إذا كان قبيح الوَجْهِ لم يلتفت إلى غنائه، فدع الغناء واطْلُبِ الفِقْهَ فإنه لا يضر معه قبح الوَجْهِ، فتركتُ المغنين واتبعتُ الفقهاء فقلت له: فأعِدْ جُعِلْتُ فداءك، فقال: لا، ولا كرامة، أتريد أن تقول: أخَذتُهُ عن مالِك بن أنس، ولم أعْلَم[١].

فكان مالك بن أبي السَّمْح الطائي، وكان البُرْدان، وكان دَحْمان.

ت ـ الغناء في مكة:

لا نكادُ نسمع عن مُغَنٍ أجنبي في مكة في عصر الخلفاء الراشدين، ومع ذلك فإن مكة لم تلبث أن عنيت بالغناء وأصبحت تنافس المدينة، فظهر عندها ابنُ مِسْجع وتلاميذه[٢].

ث ـ الغناء في العراق:

في كتاب «**الأغاني**» نصوصٌ كثيرة تدلّ على أن أهل العراق لم يكونوا يُعجَبونَ بالغناء[٣] مع أن الإمام الحسن البصري، أَحَدُ وُعّاظهم (ت ١١٠هـ) أُثِرَ عنه أنه قال: «نِعْمَ العونُ الغِنَاء على طاعة الله، يَصِلُ الرجُلُ بها رَحِمَهُ، ويُواسي صديقه»[٤].

ولم يُعْرَفُ للعراق مُغنٍّ مشهور سوى حُنَيْن[٥] الحيري.

ج ـ الغناء في الشام:

ولم تُعْنَ الشام بالغناء في أوائل العصر الأُمَوي، إذ كان معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠هـ) لا يُعْجَبُ به على ما يظهر، وقد اضطر الصحابي عبد الله بن جعفر أن يُقَدِّم له مغنياً على أنه شاعر[٦].

ولا نعرفُ للشام مغنياً مشهوراً قَبْلَ أبي كامل الغزيِّل مغني الوليد بن يزيد بن عبدالملك[٧] (ت ١٢٦هـ).

---

(١) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (٤/ ٢٢٢) طبعة دار الكتب، وهذه الرواية مكذوبة على الإمام مالك وهي من طامات كتاب «**الأغاني**». ذكرها الحافظ ابن حجر في «**لسان الميزان**» (٣/ ٣٧٣) في ترجمة إسحاق بن محمد النخعي الأحمر، وكان على الدكتور شوقي ضيف الذي نقلها في كتابه «**الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية**» في الصفحة (٤٨) أن يتنبّه لذلك، خصوصاً وأنها تتطاول على الإمام مالك صاحب المذهب المالكي.

(٢) الأصبهاني «**الأغاني**» (٣/ ٢٧٦) وما بعدها.

(٣) «**المصدر نفسه**» (١/ ٧١) و (٦/ ٣٣٩).

(٤) ابن عبد ربه «**العقد الفريد**» (٧/ ٩) بتحقيق محمد العريان.

(٥) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (٢/ ٣٤١) وما بعدها.

(٦) «**المصدر نفسه**» (٨/ ٣٢٣) والخبر غير موثوق بصحته.

(٧) «**المصدر نفسه**» (٧/ ٩١).

ح ـ ومن أشهر المغنين في العصر الأموي:

طُوَيْس[١]: (١١ ـ ٩٢ هـ)، وسائب خاثر: مولى بني ليث[٢] (ت ٦٣ هـ). وابن سُرَيْج[٣]: عبد الله، أبو يحيى مَوْلَى بني نَوْفل بن عبد مناف، وحُنَيْن الحِيري[٤]: (ت نحو ١١٠ هـ)، وقد انفرد بصناعة الغناء في العراق. ومَعْبَد[٥]، مولى بني مخزوم. (ت ١٢٦ هـ).

وابنُ عائشة[٦]. (ت نحو ١٠٠ هـ) وهو محمد، منسوبٌ لأمه. ويُونُس الكاتب[٧]. (ت نحو ١٣٥ هـ) مَوْلَى عمرو بن الزبير، وهو أول من دَوَّنَ الغناء في العرب. قال فيه الأصبهاني: هو الأصلُ الذي يُعَمْلُ عليه.

ويذكر له ابن النديم في «**الفهرست**»[٨] ثلاثة كتب: كتاب «**مُجَرد يُونس**» وكتاب «**القيان**» وكتاب «**النغم**»، ومالك بن أبي السَّمْح الطائي[٩] (ت نحو ١٤٠ هـ)، وعطرَّد، مولى الأنصار[١٠]، والغَرِيض[١١] (ت نحو ٩٥ هـ).

خ ـ ومن أشهر المغنيات في العصر الأموي:

عَزَّة المَيْلاء[١٢] (ت نحو ١١٥ هـ)، وجميلة السُّلَمِيَّة[١٣] (ت نحو ١٣٠ هـ)، وسَلاّمة القَسّ[١٤] (ت نحو ١٣٠ هـ)، وسَلاّمة الزرقاء[١٥].

---

(١) راجع أشهر المغنيين في عصر الخلفاء الراشدين.

(٢) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (١/ ٢٦) و (٨/ ٢٧٩، ٣٢٣ ـ ٣٢٦)، والنويري «**نهاية الأرب**» (٤/ ٢٤٣).

(٣) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (١/ ٤٨، ٥٩، ٦٠، ٦٨، ٢٤٨ ـ ٣٢٣)، و النويري «**نهاية الأرب**» (٤/ ٢٤٩).

(٤) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (٢/ ٣٤١)، والنويري «**نهاية الأرب**» (٤/ ٢٩٣ ـ ٢٩٥)، والزركلي «**الأعلام**» (٢/ ٢٨٨)، ومحمد محمود سامي حافظ «**تاريخ الموسيقى والغناء العربي**» الصفحة (٤٢).

(٥) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (١/ ٣٦ ـ ٥٩)، والذهبي «**تاريخ الإسلام**» وفيات سنة (١٢٦هـ) الصفحة(٢٦٩ـ ٢٧٠).

(٦) «**المصدر نفسه**» (٢/ ٦٠)، والصفدي «**الوافي بالوفيات**» (٣/ ١٨)، والنويري «**نهاية الأرب**» (٤/ ٢٨٠)، والزركلي «**الأعلام**» (٦/ ١٧٩).

(٧) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (٤/ ٣٩٨ ـ ٤٠٤)، والنويري «**نهاية الأرب**» (٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣)، والزركلي «**الأعلام**» (٨/ ٢٦١)، وشوقي ضيف «**الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية**» الصفحة (٦١).

(٨) ابن النديم «**الفهرست**» الصفحة (٢٠٧) طبعة القاهرة.

(٩) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (٥/ ١٠١ ـ ١١٧).

(١٠) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (٣/ ٣٠٣ ـ ٣١٠)، والنويري «**نهاية الأرب**» (٤/ ٣٠٢).

(١١) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (٢/ ٣٥٩ ـ ٤٠٣)، والمبرد «**الكامل في اللغة والأدب**» (٢/ ٧٧٩، ٧٨٠، ٨١٥).

(١٢) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (١/ ٣٧٨) و (٣/ ١٣) و (٦/ ٢٠٢) و (١١/ ١٧)، وكحالة «**أعلام النساء**» (٢/ ٢٣٥)، والزركلي «**الأعلام**» (٤/ ٢٣٠).

(١٣) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (٨/ ١٨٦ ـ ٢٣٦)، والزركلي «**الأعلام**» (٢/ ١٣٩).

(١٤) أبو الفرج «**الأغاني**» (٨/ ٣٣٤)، وابن عبد ربه «**العقد الفريد**» (٧/ ١٤ ـ ١٥)، وابن الأثير «**الكامل في التاريخ**» (٥/ ١٢٢ ـ ١٢٣)، والزبيدي «**تاج العروس**» مادة (سلم)، وكحالة «**أعلام النساء**» (٢/ ٢٢٩)، والزركلي «**الأعلام**» (٣/ ١٠٧).

(١٥) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (٨/ ٣٣٣) و (٨/ ٣٤٦).

د ـ أما أهم الخلفاء الذين سمعوا الغناء:

سيدنا معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠ هـ)، وكان من كُتَّاب النبي ﷺ[١]، وقد أورد له الأصبهاني[٢]، وابن عبد ربه[٣]، والطبري[٤]، سماع المغني سائب خاثر (ت ٦٣ هـ)، وبُدَيْح، وابن صيّاد، وله (١٣٠) حديثاً اتفق الشيخان على أربعةٍ منها، وانفرد الإمام البخاري بأربعة، ومسلم بخمسة[٥].

ثم ابنه يزيد الأول (٢٥ ـ ٦٤ هـ): وهو يزيد بن معاوية[٦]، وعبد الملك بن مروان (ت ٨٦ هـ)، والوليد بن عبد الملك (ت ٩٦ هـ): وهو الوليد الأول، وكان أبو كامل الغزيل مطرب الخليفة ومنادمه[٧]، وسليمان بن عبد الملك (ت ٩٩ هـ) على ما ذكره صاحب «الأغاني»[٨]، وعمر بن عبد العزيز (ت ١٠١ هـ) (قبل أن يلي الخلافة)[٩]، ويزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد (ت ١٠٥ هـ): وهو يزيد الثاني، وكان مُفرِطاً في الانصراف إلى اللذات وقصته مع المغنية حَبّابة مشهورة[١٠]، وهشام بن عبد الملك بن مروان (ت١٢٥ هـ)، والوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان (ت ١٢٦ هـ): وهو الوليد الثاني. قال ابن خلدون: «ساءت القالَةُ فيه كثيراً، وكثير من الناس نفوا عنه ذلك، وقالوا: إنها من شناعات الأعداء، ألصقوها به»[١١]، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد (ت ١٢٦ هـ): وهو المعروف بالناقص[١٢]، وهو يزيد الثالث، وقد أُثِرَ عنه قوله:

«يا بني أمَيّة، إياكم والغناء، فإنه يُنقِصُ الحياء، ويزيدُ في الشهوة، ويهدِمُ المروءة، ويَنُوبُ عن الخمر، فإن كنتم فاعلين فَجَنِّبُوهُ النساء، فإنَّ الغناء داعية الزنى»[١٣]،ومروان بن محمد بن مروان بن الحكم، أبو عبد الملك (ت ١٣٢ هـ).

---

(١) الحافظ المزي «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (١/ ١٩٦).

(٢) أبو الفرج الأصبهاني «الأغاني» (٨/ ٣٢٣).

(٣) ابن عبد ربه «العقد الفريد» (٧/ ١٦ ـ ١٧).

(٤) الطبري « تاريخ الأمم والملوك » (٥ / ٣٣٦ ـ ٣٣٧) نقل عنه ابن الأثير في «الكامل في التاريخ» (٤/ ١٢ ـ ١٣).

(٥) الزركلي «الأعلام» (٧/ ٢٦٢).

(٦) أبو الفرج الأصبهاني «الأغاني» (١٧/ ٣٠٠).

(٧) د. محمد محمود سامي حافظ «تاريخ الموسيقى والغناء العربي» الصفحة (٥٠)، وهنري فارمر «تاريخ الموسيقى العربية» الصفحة (١١٨ ـ ١١٩).

(٨) أبو الفرج الأصبهاني «الأغاني» (١/ ٢٩٧ ـ ٣٠١) وانظر النويري «نهاية الأرب» (٤/ ٢٥٢ ـ ٢٥٧).

(٩) وانظر تمام قصته مع المغني الراكب في سفره في «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٧/ ١١) وترجمته من «الأغاني» (٩/ ٢٥٠ ـ ٢٧٤).

(١٠) الطبري «تاريخ الأمم والملوك» (٧/ ٢٢ ـ ٢٣) نقل عنه ابن الأثير في «الكامل» (٥/ ١٢١ ـ ١٢٣)، وفيه يقول الديار بكري في «تاريخ الخميس» (٢/ ٣١٨): «إنه مات عشقاً... ولا يُعلم خليفة مات عِشْقاً غيره».

(١١) «تاريخ ابن خلدون» (٣/ ١٠٦)، وانظر أبو الفرج الأصبهاني «الأغاني» (٧/ ١) و (٩/ ٢٧٤)، والمسعودي «مروج الذهب» (٢/ ١٤٥) طبعة مصر.

(١٢) سُمِّي كذلك لأن سلفه «الوليد بن يزيد» كان قد زاد في أُعطيات الجند، فلما ولي يزيد، نَقَّص الزيادة.

(١٣) الذهبي «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٧٦)، وابن الأثير «الكامل في التاريخ»(٥/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠)، وعلي حسن علي عبد الحميد «موارد الأمان المنتقى من إغاثة اللهفان لابن القيم» الصفحة (٣١٨).

خامساً ـ الغناء والمعازف في الأندلس (٩٢ ـ ٨٩٧هـ)

أ ـ ولع الحكام الأندلسيين بالغناء والموسيقى:

أُولِعَ الحكام الأندلسيون بالغناء والموسيقى أمثال عبد الرحمن بن معاوية بن هشام وهو عبد الرحمن الأول (ت ١٧٢هـ) الملقب بصقر قُرَيْش، وهو مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، وعبد الرحمن الثاني وهو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (ت ٢٣٨هـ) رابع ملوك بني أُمَيَّة في الأندلس، فَأَجْزَلوا العطاء للمغنين والموسيقيين، وشجعوا هذه الظاهرة مع بناء القصور كقصر الزهراء التي غَنَّت فيه (أُنْسُ القلوب) لعبد الرحمن الثالث، وهو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالخليفة الناصر (ت ٣٥٠هـ).

ب ـ زِرْياب: أهم المغنين في الأندلس

وقيل: إن أول من دخل البلاد من المغنين عَلُّون وزَرْقون[١] دخلا في أيام الحكم بن هشام، فنفقا عليه، وكانا محسنين، لكن غناؤهما ذهب لِغَلَبة غناء عبدٍ أسود ذو صوت رخيم لُقِّب بِزِرْياب[٢] تشبيهاً له بطائر أسود الريش حَسَن الصوت[٣] هو علي بن نافع أبو الحَسَن (ت ٢٣٠ هـ).

وهو الذي جعل العود في خمسة أوتار بعد أن كانت أربعة. أخذ الغناء ببغداد عن أُستاذِه إسحاق الموصلي وغيره، وغَنَّى في صباه بين يدَيْ الرشيد (ت ١٩٣ هـ):

يـا أيهـا الملـكُ الميمـونُ طـائـره هارونُ راح إلَيكَ الناسُ وٱبْتَكَرُوا

فطار الرشيد طَرَباً[٤].

---

(١) المقري «**نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**» (٣/ ١٣٠).

(٢) الأصبهاني «**الأغاني**» (٤/ ٣٥٤)، والمقري «**نفح الطيب**» (٢/ ١١٢ ـ ١٣٤)، وابن طيفور «**تاريخ بغداد**» (٦/ ٢٨٤) طبع أوروبا، والزبيدي «**تاج العروس**» مادة زرب (٣/ ١٢) طبعة الكويت، وابن خلدون «**المقدمة**» الصفحة (٤٢٨)، وابن عبد ربه «**العقد الفريد**» (٧/ ٣٠، ٦٨) و (٨/ ٢٥)، وليفي بروفنسال «**الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية**» عن مخطوط المؤرخ الأندلسي أحمد بن محمد الرازي، منشورات معهد الجنرال فرانكو، الأبحاث العربية الإسبانية الصفحة (٣٠ ـ ٤٠).

(٣) وزِرياب: قيل مُعَرَّب (زراب) فارسية وتعني ماء الذهب، انظر «**تاج العروس**» (١/ ٢٨٦) طبعة مصر عام ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧هـ) وعرّبوه بكسر الزاي وإبدال الياء ألف. قال الزركلي: وهذا التفسير أقرب إلى الصحة فإن من المغنيات الشهيرات «زرياب الواثقية» وليس في أخبارها في «**الأغاني**» (١٠/ ٧٠، ٢٧٨، ٢٨١) طبعة دار الكتب ما يدل على أنها سوداء. الزركلي «**الأعلام**» (٥/ ٢٨).

(٤) وهذه الرواية المنقولة عن كتاب «**الأغاني**» هي موضع شك في صحة سندها، خصوصاً وأنها تطال الخليفة العباسي الذي ظُلِمَ في كتب التاريخ وقد كان معروفاً بالجهاد، وهو الذي خاطب السحابة قائلاً: اذهبي حيث شئتِ فخراجك سيعود إليَّ.

ت ـ ومن أشهر المغنيات في الأندلس:

العَجفاء[١]، وفضل المدنيّة[٢]، وقَلَم[٣]، ومصابيح[٤]، ومُتْعة[٥]، وعَلِيَّة وحمدونة[٦]: ابنتا زِرْياب. وكانت حمدونة متقدمة على أختها، وقَمَر[٧]، وطَرَب[٨]، وأُنْسُ القلوب[٩]، وبُرَيْعَة[١٠]، وغزلان وهُنَيْدة ومنفعة[١١].

ث ـ تطور الغناء في الأندلس

لقد تطوّر الغناء الأندلسي تطوراً عظيماً على مدى العصور في مواضيع الغزل والمَدْح وغيرها، وتلقى لدى الأُدباء والشعراء والمغنين رواجاً حتى اشتهر ما يسمى بـ «التواشيح الأندلسية» عندهم ذات الأسلوب والكلمات واللحن والأداء الخاص، ثم انحرف الغناء والمعازف حتى عَمَّ وطَمَّ في عصر الإمام القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ) وصار سبباً للفجور والفساد الذي اخترق كيان الأندلس وأدّى إلى سقوطها[١٢] في أيدي النصارى في (٢) ربيع الأول عام (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م)، وهو ما يعبر عنه الإمام بنفسه في تفسيره «**الجامع لأحكام القرآن**»[١٣] حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[١٤] في المسألة الأولى:

«من الغِناء ما ينتهي سماعه إلى التحريم، وذلك كالأشعار التي توصف فيها الصور المحسنات والخَمْر، وغير ذلك مما يهيج الطباع، ويخرجها عن الاعتدال، أو يثير كامِناً مِن حب اللهو مثل قول بعضهم:

ذهبيُّ اللونِ تَحْسَبُ مِنْ ... وَجْنَتَيْهِ النارُ تُقْتَدَحُ
خَوَّفوني مِنْ فَضيحتِهِ ... لَيْتَهُ وافَى وأَفْتَضحُ

---

(١) المقري «نفح الطيب» (٣/ ١٤١)، وكحالة «أعلام النساء» (٣/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧).
(٢) المقري «نفح الطيب» (٣/ ١٤٠)، وكحالة «أعلام النساء» (٤/ ١٧٧).
(٣) المقري «نفح الطيب» (١/ ٣٥٠) و (٣/ ١٤٠)، وكحالة «أعلام النساء» (٤/ ٢١٩).
(٤) المقري «نفح الطيب» (٣/ ١٣٠)، وكحالة «أعلام النساء» (٥/ ٥٧).
(٥) المقري «نفح الطيب» (٣/ ١٣١).
(٦) «المصدر نفسه» (٣/ ١٢٩، ١٣١).
(٧) «المصدر نفسه» (٣/ ١٤٠) وكحالة «أعلام النساء» (٤/ ٢٢٠).
(٨) المقري «نفح الطيب» (٣/ ٥٧٥).
(٩) «المصدر نفسه» (١/ ٦١٧)، وكحالة «أعلام النساء» (١/ ٩٧ ـ ٩٩).
(١٠) المقري «نفح الطيب» (٣/ ١٢٦) وما بعدها.
(١١) المقري «نفح الطيب» (٣/ ١٢٦)، نقل عنه كحالة في «أعلام النساء» (٤/ ٩)، و (٥/ ١١٣).
(١٢) «مقدمة فهارس الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٦٤) من صُنْعِنا، الواقع الاجتماعي والسياسي والأخلاقي في عصر القرطبي.
(١٣) القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ١٧).
(١٤) سورة الفرقان، الآية: (٧٢).

لا سيما إذا اقترن بذلك شبّابّات وطارات مثل ما يُفعل اليوم في هذه الأزمان».

ولَعَلَّ خير ممثل للغناء والمعازف في العصر الأندلسي هو ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) صاحب «**العقد الفريد**» وهو شاعر القصر.

فهو يشيد بمدح الموسيقى ويسميها مراد السمع، ومرتع النفس، ومسلاة الكئيب، وأُنس الوحيد، وزاد الركب... وقد يتوصل بالألحان الحسان إلى خير الدنيا والآخرة، فمن ذلك أنها تبعث على مكارم الأخلاق، من اصطناع المعروف، وصلة الرحم، والذبّ عن الأعراض، والتجاوز عن الذنوب، وقد يبكي بها (أي بالموسيقى) الرجل على خطيئته، ويرقق القلب من قسوته، ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله في ضميره[١].

سادساً ـ الغناء والمعازف في العصر العباسيّ (١٣٢ ـ ٦٥٠هـ)

أ ـ مقدمة: تطور الغناء والمعازف في هذا العصر وتَأَثُّر العرب بكتب اليونان المترجمة

يُعَدُّ العصر العباسي العصر الذهبي للعلوم عامةً ومن بينها علم الموسيقى الذي شهد تطوراً عظيماً على أيدي العرب الذين تأثروا بآراء اليونان كابن سينا (ت ٤٢٨هـ)، والكندي (ت ٢٦٠هـ)، والفارابي (ت ٣٣٩هـ)، ساعد على ذلك حركة الترجمة التي نقلت الثقافة اليونانية إلى المسلمين لأن حكام بني العباس سَعَوْا إلى معرفة علوم الفرس واليونان بعد أن قامت الدولة العباسية بمساعدة الفرس، ونشأ من ذلك اختلاط العنصرَيْن العربي والفارسي، فاتجهت ميول العبّاسيين لمعرفة العلوم الأجنبية[٢].

ولقد كان لآراء اليونان الأثر الكبير في الفكر العربي، فنشأت الفلسفة، وعلم الكلام، والمنطق، وازدهر علم الطب، والنجوم، والفلك، والهندسة والرياضيات **والموسيقى** فَبَدَأَ بعض المسلمين العرب بتقليد أرسطو وأفلاطون وإقليدس وجالينوس، وَصُنِّفَت الكتب التي عالجت النظريات الموسيقية ككتب الكندي والسَّرَخْسِيّ والفارابي.

كما كان للخلفاء العباسيين أنفسهم دور هام في تشجيع الفنون وبذل العطاء والهبات للمغنين، ويكفي أن نعلم أن الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد (ت ١٩٣هـ) قد بلغ اهتمامه بالغناء درجةً جعله يأمر باختيار ثلاثة أصوات من جميع الأغاني المتداولة[٣].

---

(١) ابن عبد ربه « **العقد الفريد** » (٧ / ٢) وما بعدها من كتاب الياقوتة الثانية في علم الألحان واختلاف الناس فيه

(٢) د. حسن إبراهيم حسن «**تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي**» (٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٧).

(٣) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (١/ ٧ ـ ٨).

● **ومن أهم الكتب الموسيقية اليونانية المترجمة[١]:**

الكتب التي ترجمها حنين بن إسحاق العبادي، أبو زيد (١٩٤ ـ ٢٦٠ هـ).

من مؤلفات أرسطو في النفس DE ANIMA، والحيوان ANIMALIS، والمسألة PROBLEMETA، فضلاً عن كتاب الصوت لجالينوس DE VOICE.

وقد عرف هذه المترجمات اليونانية الكندي في رسائله الموسيقية التي امتد تأثيرها قرنيْن من الزمن.

أما قسطا بن لوقا البعلبكي (ت نحو ٣٠٠ هـ) فقد ترجم كثيراً من كتب اليونان.

وكان الكندي، يعقوب بن إسحاق (ت نحو ٢٦٠هـ)، والسَّرَخْسِيّ، أحمد بن محمد بن مروان بن الطيب أبو العباس (ت ٢٨٦هـ)، وإخوانُ الصفا، وثابت بن قُرَّة[٢] (٢٢١ ـ ٢٨٨هـ)، ومحمد بن زكريا الرازي[٣] (٢٥١ ـ ٣١٣هـ) ويسميه كُتَّابُ اللاتينية RHAZES، وقسطا بن لوقا البعلبكي (ت نحو ٣٠٠هـ)، والفارابي محمد بن محمد بن طرخان، أبو نصر (٢٦٠ ـ ٣٣٩هـ) من كُتّاب المدرسة اليونانية.

ب ـ مشاهير الخلفاء العباسيين الذين سمعوا الغناء وشجعوه:

١ ـ ولعلّ خير مُمَثِّلٍ للعصر العباسي من الخلفاء الذين استمعوا للغناء الخليفة الخامس هارون الرشيد (ت ١٩٣هـ). ولهذا الخليفة أخبارٌ مع المغنين أمثال حَكَم الوادي (ت نحو ١٨٠هـ) وابن جامع (ت ١٩٢هـ) وقد نال منه ببيتين غناهما عشرة آلاف دينار وعطايا كثيرة، ويزيد حَوْراء (ت نحو ١٨٥هـ).

وتبع هارون الرشيد الهادي (ت ١٧٠ هـ)[٤] والمهدي[٥] (ت ١٦٩ هـ) والمأمون[٦] (ت ٢١٨ هـ)، كما استمع من خلفاء بني العباس **المتوكل**[٧] (ت ٢٤٧ هـ) وقد بنى قصراً شجع فيه الشعراء. ومن مشاهير الموسيقيين في عهده إسحاق الموصلي، وأحمد بن يحيى المكي، ومحمد بن الحارث، وعمر بن بانة، وأحمد بن صدقة وغيرهم، والمعتضد بالله[٨] (ت

---

(١) هنري فارمر «**تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي**» الصفحة (٢٠٠، ٢٢٨ ـ ٢٣١) وانظر أخبار حُنَيْن بن إسحاق في «**وفيات الأعيان**» (٢/ ٢١٧ ـ ٢١٨).

(٢) وله «**مسائل في الموسيقى**» مخطوط في مغنيسا الرقم (٧/ ١٧٠٥). انظر «**الأعلام**» للزركلي (٢/ ٩٨).

(٣) وقد أُولِع بالغناء ونظم الشعر، وكان في صباه مغنياً يضرب على العود إضافةً لكونه عَلَماً من الأطباء المشهورين في الإسلام. انظر الذهبي «**سير أعلام النبلاء**» (١٤/ ٣٥٤) ترجمة (٢٠٦)، وابن خلكان «**وفيات الأعيان**» (٥/ ١٥٧ ـ ١٦١).

(٤) «**الأغاني**» (٤/ ٥٤ ـ ٦٠).

(٥) «**المصدر نفسه**» (٣/ ٢٣٩ ـ ٢٥٢).

(٦) «**المصدر نفسه**» (٤/ ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣).

(٧) «**المصدر نفسه**» (١٢/ ٨٠ ـ ٨٧).

(٨) «**المصدر نفسه**» (٩/ ٣٤٤).

٢٨٩ هـ) الذي اختصّ بعبيد الله بن عبدالله بن طاهر نديماً وكان هذا صاحب كتاب في «النَّغَم»، و «علل الأغاني» المسمى كتاب «الآداب الرفيعة»[١].

ت ـ ومن أشهر الموسيقيين والمغنين في العصر العباسي:

الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ ـ ١٧٠ هـ). أحد مشاهير رجال الأدب واللغة في مدرسة البصرة النحوية، رُبَّما عُدَّ النظري الأعظم وواحد زمانه، قيل: دعا بمكة أنْ يُرْزَقَ عِلْماً لم يسبقه إليه أَحَدٌ، فرجع من حَجَّة، فَفُتِحَ عليه بعلم العَروض. لقد عُرِفَ بصورة عامة أنه أول من استخرج مسائل النحو العربية في كتابه «العين»، وهو أستاذ سيبويه النحوي، وأول مَنْ وضَع ميزان الشعر العربي (العَرُوض) أخذه من الموسيقى، وكان عارِفاً بها. ذاعت أبحاثه في الموسيقى بكتابَيْن هُما كتاب «النغم» و «الإيقاع»[٢]، وحَكَم الوادي (ت نحو ١٨٠ هـ)، ويزيد حَورَاء (ت ١٨٥ هـ).

وإسحاق الموصلي[٣] (ت ٢٣٥ هـ) له (١٩) كتاباً في الموسيقى منها كتاب «الأغاني» الكبير، «أغانيه» التي غنَّى بها، «أغاني مَعْبَد»، «النغم والإيقاع»، «الرقص والزَّفْن»... وغيرها، وهو من أشهر ندماء الخلفاء العباسيين. تفَرَّد بصناعة الغناء، وكان عالِماً باللغة، والموسيقى، والتاريخ، وعلوم الدين، وعلم الكلام، راوياً للشعر، حافِظاً للأخبار، شاعِراً. وكان مِن أفراد الدهر أَدَباً وظَرْفاً وعِلْماً، نادم الرشيد[٤] (ت ١٩٣ هـ) والمأمون[٥] (ت ٢١٨ هـ) والواثق[٦]، وكان كثير الكتب، ومن تصانيفه عدا ما ذكر آنفاً: «أخبار عزَّة الميلاء»، و «أخبار حماد عجرد»، و «أخبار ذي الرُّمة» و «الاختيار من الأغاني» أَلَّفه للواثق، و «قيان الحجاز» وغير ذلك.

والكندي، يعقوب بن إسحاق[٧] (ت نحو ٢٦٠ هـ). فيلسوف العرب والإسلام، تأثر بكتب اليونان الموسيقية فبرع وألَّف وترجم وشرح. ورسائله الموسيقية كثيرة امتد تأثيرها قرنين من الزمن، تطرق فيها إلى بحث الصوت والأجناس، والجموح، والانتقالات، والتأليف

---

(١) «الأغاني» (٩/ ٤١).

(٢) ابن خلكان «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٨) ترجمة (٢٢٠)، والقفطي «إنباه الرواة» (١/ ٣٧٦ ـ ٣٨٢).

(٣) ابن النديم «الفهرست» الصفحة (١٤٠)، وأبو الفرج الأصبهاني «الأغاني» (٥/ ٢٦٨ ـ ٤٣٥)، والخطيب البغدادي «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٣٨) ترجمة (٣٣٨٠)، وابن خلكان «وفيات الأعيان» (١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٥) ترجمة (٨٧)، وابن حجر «لسان الميزان» (١/ ٣٥٠) ترجمة (١٠٨٥)، والقفطي «إنباه الرواة» (١/ ٢٥٠ ـ ٢٥٤) ترجمة (١٣٧)، والزركلي «الأعلام» (١/ ٢٩٢).

(٤) ابن خلكان «وفيات الأعيان» (١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

(٥) الأصفهاني «الأغاني» (٥/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) وابن خلكان «وفيات الأعيان» (١/ ٢٠٣).

(٦) أبو الفرج الأصبهاني «الأغاني» (٥/ ٢٨٥).

(٧) ابن النديم «الفهرست» الصفحة (٣٥٩)، وابن أبي أصيبعة «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (١/ ٢٠٦ ـ ٢١٤)، والبيهقي «تاريخ حكماء الإسلام» (٤١)، وابن حجر «لسان الميزان» (٦/ ٣٠٥) ترجمة (١٠٩١)، والزركلي «الأعلام» (٨/ ١٩٥).

متأثراً بخطى اليونان. فأصاب عند المأمون (ت ٢١٨ هـ) والمعتصم (ت ٢٢٧ هـ) منزلة وإكراماً. ومن بين كتبه في الموسيقى:

رسالة الخبر في التأليف، ورسالة في ترتيب النغم، ورسالة في الإيقاع، ورسالة في المدخل إلى صناعة الموسيقى، ورسالة في خُبر صناعة التأليف، ورسالة في أخبار عن صناعة الموسيقى، ومختصر الموسيقى في تأليف النغم وصناعة العود.

والسَّرَخسي[١]، أحمد بن محمد بن مروان، أبو العباس (ت ٢٨٦ هـ). وقد قرأ على الكندي (ت ٢٦٠ هـ) الذي عُرِف باشتهاره الموسيقية ونظرياته بها، متأثراً بكتب اليونان وغيرها من الكتب. أما كتبه الموسيقية التي عَرَض بها نظرياته فهي:

كتاب الموسيقى (الكبير)، والموسيقى (الصغير)، واللهو والملاهي (في الغناء والمغنين والمنادمة) صنَّفَهُ للمعتضد (ت ٢٨٩ هـ) الذي كان يستشيره في أمور مملكته ويُفضِي إليه بأسراره، لكنه قَتَلَهُ.

والمدخل إلى علم الموسيقى، والقيان.

والفارابي، محمد بن محمد بن طرخان، أبو نصر (ت ٣٣٩ هـ). ويُعْرَف بالمعلم الثاني لشرحه مؤلفات أرسطو، وكان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره، ويُقال: إنَّ الآلة المعروفة بالقانون مِن وَضْعِهِ، ولعلَّه أخذها عن الفُرْس فَوَسَّعها وزادها اتقاناً، فنسبها الناسُ إليه وله نحو مائة كتاب. ونبغ في الموسيقى ومن كتبه الموسيقية:

إحصاء الإيقاعات (في النغم)، والمدخل إلى صناعة الموسيقى الكبير، الموسيقى الكبير[٢]. وقد سَجَّل له ابن خلكان[٣] حادثة تدل على نبوغه في الموسيقى وتأثيرها الكبير في النفوس البشرية في مجلس سيف الدولة ابن حمدان (ت ٣٥٦ هـ) حيث أخرج من وسطه خريطة فتحها وأخرج منها عيداناً ركَّبها ثم لعب بها، فأضحك المجلس، ثم فكَّها وركَّبها تركيباً آخر فبكى كل من في المجلس، ثم فكَّها وغيَّر تركيبها فناموا حتى البوّاب، فتركهم نياماً وخَرَج.

---

(١) ابن خلكان «وفيات الأعيان» (٥/ ١٥٣ ـ١٥٧) ترجمة (٧٠٦)، والصفدي «الوافي بالوفيات» (١/ ١٠٦ ـ ١١٣)، و «تاريخ ابن الوَردي» (١/ ٢٨٤)، وابن كثير «البداية والنهاية» (١١/ ٢٢٤)، وطاش كبرى زاده «مفتاح العلوم» (١/ ٣٥١).

(٢) طبع في القاهرة في مجلدٍ واحد بتحقيق غطاس عبد الملك خشبة مراجعة د. محمود أحمد الحفني، دار الكاتب العربي.

(٣) ابن خلكان «وفيات الأعيان» (٥/ ١٥٥ ـ ١٥٦) وقد نَقَلَ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة هذه القصة في كتابه «صفحات من صبر العلماء» الصفحة (١٩٥ ـ ١٩٦).

ث ـ ومن مشاهير المغنيات في العصر العباسي اللاتي فاقت المغنيات الأمويات نذكر:

بَصْبَص جارية ابن نُفَيْس[١]، وعَرِيب المأمونية[٢] (ت ٢٧٧ هـ)، وشارِية[٣]، وعُبَيْدَة الطنبورية[٤] (ت نحو ٢٢٥ هـ).

ودنانير البرمكية[٥]، عملت كتاب «**مجرد الأغاني**» وهو مشهور، وغيرهن الكثيرات وكلهن على صفحات «**الأغاني**» لأبي الفرج.

ج ـ الخلاصة: تطوّر الغناء في العصر العباسي تطوراً عظيماً

بتأثير الكتب الموسيقية اليونانية التي قَلَّدها الكندي ثم الفارابي والرازي وابن سينا، فَظَهرت المؤلَّفات التي عالجت الموسيقى كفنٍ رياضي مستقل، وتناولت الأنغام والأصوات، وانتشر الآلات والمعازف بشكل لم يسبق له مثيل.

ساعَدَ على ذلك تشجيع الخلفاء العباسيين أنفسهم للمغنين بالهبات. ولعلّ خير شاهِدٍ على نشاط الغناء كثرة المغنين والمغنّيات الذين صَوَّر لنا وجودهم أبو الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٩هـ) في كتابه «**الأغاني**» حيث أَفْرَدَ لهم صفحات طويلة ساق فيها أشعارهم وأنسابهم وأسماءهم وعلاقاتهم بالخلفاء العباسيين بما لا يمكن إنكاره.

تَصَدِّي عُلَماء الإسلام للغناء الماجن في هذا العصر

لكن الغناء والمعازف سرعان ما تحول إلى وسيلة للترف والمجون في هذا العصر، فَقَيّضَ الله لهذا المجتمع الفقهاء الأربعة وهم: أبو حنيفة (ت ١٥٠ هـ) ومالك (ت ١٧٩هـ) والشافعي (ت ٢٠٤هـ)، وأحمد (ت ٢٤١هـ) الذين تَصَدُّوا لانغماس المجتمع العباسي ورجالاته وحكامه في اللهو والبذخ والغناء في كتبهم، وهو ما سنراه في دلائل المانعين للغناء، وكان أشد المذاهب إنكاراً للغناء الماجن المذهب الحنبلي، فَصَدرت الكتب المواجهة لهذا اللهو الماجن ككتاب «**ذم الملاهي**» لابن أبي الدنيا، و «**الرد على من يحب السماع**» للقاضي أبي الطيب الطبري وغيرها. وهنا ثَمَّةَ مُلاحظة مهمة تضاف إلى صفة المجتمع العباسي الذي اخترقته الكتب اليونانية والقبطية والفارسية والفهلوية عبر طريق الترجمة[٦]، إذْ كان لهذه الموجة الوافدة على المجتمع الإسلامي آثار عميقة في حياة المسلمين، ليس فقط على صعيد

(١) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (١٥/ ٢٧ ـ ٣٦)، وكحالة «**أعلام النساء**» (١/ ١٣٣ ـ ١٣٥).

(٢) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (٢١/ ٥٤ ـ ٩١)، وابن الأثير «**الكامل في التاريخ**» (٧/ ٤٤٠)، والزركلي «**الأعلام**» (٤/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨).

(٣) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (١٦/ ٣ ـ ١٦)، والصفدي «**الوافي بالوفيات**» (١٦/ ٧٤ ـ ٧٥) ترجمة (٩٣).

(٤) زينب فواز «**الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**» الصفحة (٣٢٧)، والأصبهاني «**الأغاني**» (٢٢/ ٢٠٥ ـ ٢١١)، وكحالة «**أعلام النساء**» (٣/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).

(٥) أبو الفرج الأصبهاني «**الأغاني**» (١٨/ ٦٥ ـ ٧٣).

(٦) انظر أهمية ترجمة الكتب وأشهر رجالاتها عند د. حسن إبراهيم حسن في «**تاريخ الإسلام**» (٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٧).

الغناء والمعازف، وإنما على الفكر نفسه والعقائد، فهي وإن طوّرت العلوم كالطب والفلك والرياضيات عند العرب والمسلمين، لكنها أثّرَت في حياتهم الاجتماعية، وأَحْدَثت شَرْخاً عقائدياً خطيراً بعد نُشُوء الفلسفة وعِلْم الكلام، والمنطق، تمثل بظهور الفِرَق كالمعتزلة ـ خاصة في عهد المأمون السياسي (ت ٢١٨هـ) ـ والباطنية، والقرامطة، والملحدين كالحاكم الفاطمي، والزنادقة. وكان من لطف الله على هذه الأمة أن قَيَّضَ لها أعلام هدى كالإمام أحمد (ت ٢٤١هـ) الذي أعَزَّ الله دينه بفتنة خَلْقِ القُرآن، وأبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ) والماتريدي (ت ٣٣٣هـ) الذين أصَّلُوا قواعد أهل السُّنة والجماعة في العقائد، فأورثونا الدين القويم مُصاناً، صحيحاً، سليماً بعد أن ابتلِي المسلمون في العصر العباسي بأصعب المحن التي أفرزها الفكر اليوناني والتي انتقدها شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «**مجموع الفتاوى**». وهو ما سنراه لاحقاً في الصفحة (٩٩)، وكذا فَعَلَ الفقهاء، متخذين أمام هذه «الموجة الوافدة» على المجتمع الإسلامي موقف ارتياب وحَذر. وما زال انحراف المجتمع العباسي يقوى حتى انتهى بسقوط الدولة العباسية نفسها بأيدي التتار نحو عام (٦٥٠هـ).

٥ ـ حكم الغناء والمعازف في الإسلام:

أ ـ الغناء من المواضيع التي اختلَفَ فيها الفقهاء قديماً وحديثاً:

اختلف الفقهاء قديماً وحديثاً في موضوع الغناء والمعازف، فمنهم مَنْ قال بالحِلّ مُطلقاً، ومنهم مَنْ قال بالحُرْمة مُطْلقاً، ومنهم مَن قال بالتفصيل باختلاف الأحوال والأشخاص وأرباب الرياء والإخلاص[١]، ومنهم مَنْ عمد إلى دراسة أسانيد أحاديث الغناء التي قالها الرسول ﷺ وآثار الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، وَوَقَفَ على رجالها وتوثيقهم. وَفْق ميزان النقد الحديثي المعروف بعلم الدراية، فلم يَظْهر عنده أحاديث كثيرة صحيحة في التحريم[٢]، ومن الفقهاء من استعمل القياس في هذه المسألة حيناً وتوقف حيناً آخر، ومنهم من اتخذ مقاصد التشريع الإسلامي هَدَفاً عند حكمه وهي مصلحة الإنسان الكامنة في حفْظِ خمسة أمور هي: العَقل، والنفس، والدين، والمال، والعِرْض، ومنهم من أَقْحَمَ الطبع لا الشرع، ومنهم أخيراً من استنبط حكمه من ظواهر النصوص.

وهذا الاختلاف تنقله لنا كتب الأدب القديمة، فقد أشار إليه ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) في كتابه «**العِقْد الفريد**» وبَوَّبَ له عنواناً سمّاه: اختلاف الناس في الغناء حيث قال: «اخْتَلَفَ الناسُ في الغِناء، فَأَجازه عامَّةُ أهل الحجاز، وكرهه عامة أهل العِراق»[٣] ثم ساق أدلة الفريقيّن، وأيَّدَ عدم تحريمه.

---

(١) النابلسي «**إيضاح الدلالات**» الصفحة (٧٢).

(٢) كما فعل ابن القيسراني في كتابه «**السماع**»، وعبد الله يوسف الجديع في «**أحاديث ذمّ الغناء في الميزان**».

(٣) ابن عبد ربه «**العقد الفريد**» (٧/ ٥).

وإلى هذا الرأي، مال النويري، أحمد بن عبد الوهاب، شهابُ الدين (ت ٧٣٣هـ) في كتابه «**نهاية الأرب في فنون الأدب**» حيث قال:

«قد تكَلَّم الناسُ في التحريم والإباحة، واختلفت أقوالهم، فمنهم من أنكر استماعه واستدلّ بتحريمه، ومنهم مَنْ رأى خلاف ذلك مطلقاً وصمَّمَ على إباحته»[١]. ثم بين أدلة الفريقيْن.

وكذلك فعل الأبشيهي، محمد بن أحمد، أبو الفتح، شهاب الدين (ت ٨٥٠هـ) في كتابه «**المستطرف في كل فَنٍّ مستظرف**»[٢] حيث جعل للخلاف عنواناً هو الباب الثامن والستون في الأصوات والألحان.

يقول حيدر قُفَّة (من المعاصرين) في كتابه «**الصحوة الإسلامية**»[٣]:

«الغناء من القضايا التي تباينت فيها الآراء منذ العصر الأول للإسلام إلى يومنا هذا، ما بَيْن مانعٍ له يُحَظِّرُهُ ويَرْمِي أصحابه بالفِسْقِ والمروقِ في الدِّين، وبين مبيحٍ له بشروط لا يخرج بها عن حَدِّ الاعتدال والترويح عن النفوس المتعبة...».

وقد طال هذا الخلاف الفقهاء المسلمين، فقد أَفْرَطَ بعضهم في التشديد والنكير حتى بلغوا درجة الغلو في التحريم كما فعل الإمام ابن القيم رحمه الله (ت ٧٥١هـ) في كتابه «**إغاثة اللهفان**»، ومنهم مَنْ أَلَّفَ رسائل خاصة في الردّ على مَنْ خالف رأيه كما فعل ابن حجر الهيتمي الشافعي رحمه الله (ت ٩٧٤هـ) حيث أَلَّفَ رسالته المسماة «**كفّ الرعاع**» رداً على رسالة الأدفوي أبو الفضل كمال الدين الشافعي (ت ٧٤٩هـ) صاحب رسالة «**الإمتاع بأحكام السماع**» وهو أول من قال بحِلِّ السماع رغم ما يجمع الفقيهان من المذهب الواحد هو الشافِعِيّة، ولكن عن طريق الشاذلي التونسي، أبي المواهب، محمد (ت بعد ٨٥٠ هـ) صاحب «**فرح الأسماع برخص الأسماع**» الذي نقل عن الأَدْفوي وذلك عندما عرفه بمكة، فأَغْلَظ ابن حجر رحمه الله في الجواب على الشاذلي، ونَهَجَ في كتابه «**كف الرعاع**» منهج النقد فَقَرةً فَقَرة، ثم قام بالردّ على كل فقرة على حِدَة، ذاكِراً آراء العلماء، معتمداً على أقوالِ أهل العلم من الشافِعِيَّة[٤].

أما السيف ابن المجد وهو أحمد بن عيسى بن عبد الله، ابن قدامة المقدسي الحنبلي (ت ٦٤٣هـ) فقد أَلَّفَ رسالةً سماها «**الردّ على محمد بن طاهر القيسراني في إباحته للسماع**»[٥] وكان محمد بن طاهر القيسراني هذا (ت ٥٠٧هـ) قد أَلَّف رسالةً سماها «**السماع**»[٦] نَقَضَ فيها أقوال المحرمين للسماع وجَرَّح النقلة للحديث الذي أوهم التحريم، وذكر من جرحهم من

---

(١) النويري «**نهاية الأرب في فنون الأدب**» (٤/ ١٣٣).
(٢) الأبشيهي «**المستطرف في كل فَنّ مستظرف**» (٢/ ١٦٥).
(٣) حيدر قُفَّة «**الصحوة الإسلامية**» الصفحة (٢١٠) من القول في الغناء.
(٤) انظر عبد المنعم أبو العباس «**كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع**» الصفحة (١٥).
(٥) الذهبي «**سير أعلام النبلاء**» (٢٣/ ١١٩) ترجمة (٩١).
(٦) طبع بالقاهرة بتحقيق أبو الوفا المراغي وتقديم محمد أبو الفضل إبراهيم في مجلد واحد عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

الحفاظ، ومن المعلوم أن ابن طاهر القيسراني هذا كان ظاهري المذهب.

ولم يكن ابن قدامة الوحيد الذي خالف ابن طاهر، فقد هاجمه أيضاً الإمام الأذْرعي، وبالغَ في تشنيعه وتسفيهه وتضليله[١] كما هاجمه ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) في «مجموع الفتاوى»[٢].

وقال العلاّمة الرَّملي الملقب بالشافعي الصغير (ت ١٠٠٤هـ): وما سمعناه من بعض صوفية الوقت تبع فيه كلام ابن حَزْمٍ وأباطيل ابن طاهر (أي القيسراني) وكذبه الشنيع في تحليل الأوتار وغيرها ولم ينظر، لكونه مذموم السيرة مع أنه مردود القول عند الأئمة»[٣].

وحمل الإمام أبو الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) على ابن طاهر أيضاً في كتابه «تلبيس إبليس» فقال: «وقد استدلّ لهم محمد بن طاهر بأشياء لولا أن يعثر على مثلها جاهل فيغترّ لم يصلح ذكرها»[٤].

بينما ذهب أحمد الغزالي الشافعي، أبو الفتوح (ت ٥٢٠هـ) أخو محمد صاحب «الإحياء» إلى الردّ على منكري السماع بنوعٍ من المبالغة فألف رسالته «بوارق الإلماع في تكفير من حَرَّم مطلق السماع»[٥].

ولَعَلَّ الخلاف في حكم مسألة الغناء والمعازف بَلَغَ أشدّه في القرن الثامن الهجري مع طائفة المتصوفين، مما دَفَعَ ابن قيم الجوزيّة (ت ٧٥١هـ) إلى إصدار كتابه «السماع الكبير» الذي سمّاه «كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء»[٦] جمع فيه فتاوى سبعة من كبار علماء القرن الثامن الهجري أجمعوا فيه على تحريم الغناء (الذي يجمع الأَمْرد والاختلاط والرقص والتصفيق)، من بين هؤلاء الإمام السبكي تقي الدين الشافعي رحمه الله (ت ٧٥٦هـ) والإمام عماد الدين ابن كثير أبو الفداء صاحب «التفسير» (ت ٧٤٧هـ) والشيخ جلال الدين بن قاضي القضاة، حسام الدين الحنفي (ت ٧٤٥هـ)، والقاضي برهان الدين بن عبد الحق الحنفي (ت ٧٤٤هـ)، والشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن الحنبلي (ت ٧٧١هـ).

وأما الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي (ت ١١٤٣هـ) فقد ألَّف رسالته «إيضاح الدلالات في سماع الآلات»[٧] رداً على رسالة ابن حجر الهيتمي «كف الرعاع» يدلّ على ذلك نقد

(١) الرملي «نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج» (٨/ ٢٩٧).
(٢) ابن تيمية «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥٨٥).
(٣) الرملي «نهاية المحتاج» (٨/ ٢٩٧).
(٤) ابن الجوزي «تلبيس إبليس» الصفحة (٢٩٤)
(٥) عبد الحي الكتاني «التراتيب الإدارية» (٢/ ١٣٣).
(٦) طبع بالقاهرة ـ مكتبة السنّة في طبعته الأولى عام ١٤١١هـ/ ١٩٩١م في مجلد واحد.
(٧) طبعت مرات عديدة آخرها بتحقيق أحمد راتب حموش بدار الفكر ـ دمشق في مجلد واحد عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

النابلسي لابن حجر في رسالته كما في قوله: «والعجب من الشيخ ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى، فإنه ذكر في مقدمة رسالته التي سمّاها «**كف الرعاع**» أحاديث فيها صريح الحُرْمة في الدُّف والطبل مُطْلَقاً لِيُظْهِر نُقولَ الحُرْمة المطلقة، ثم صَرَّح بعد ذلك بإباحة الدُّفّ مطلقاً في الأصح، ولو كانت له جلاجلَ»[١].

كما يقول الشيخ النابلسي رحمه الله في موضع آخر من رسالته:

«وله (أي لابن حجر الهيتمي) مع ابنِ طاهر وابن حزم مَوْقِفٌ بين يدَيْ الله تعالى يوم القيامة»[٢].

بينما اكتفى فريقٌ من العلماء في هذا الموضوع الخلافي العريض بموقف الاعتدال وعلى رأس هؤلاء القاضي الشوكاني الزيدي رحمه الله (ت ١٢٥٠هـ) فقرَّر أن موضوع الغناء وإن كان حلالاً، فَهُوَ لا يخرج عن كونه من الشبهات»[٣]، وإلى هذا مال الدكتور يوسف القَرَضَاوي (المعاصر) في أقصى الاحتمالات[٤].

ب ـ سبب الاختلاف برأي الشيخ علي الطنطاوي (معاصر) في كتابه «الفتاوى»[٥]:

يقول: «والاختلاف اليوم في أمر الغناء والموسيقى ناشئٌ ـ كما أرى ـ عن أمرَيْنِ:

أولهما: إنَّ مَنْ يقول بالإباحة ومَنْ يذهب إلى المنع لا يتكلمان عن شيءٍ واحد، مع أن الواجب قبل المُناظرة تحديد موضوعها.

فالذين يُحَرِّمون، يتكَلَّمُون عن الغناء والموسيقى بوضعهما الحاضر، ولا شكَّ أنه **على هذه الحال ممنوع غالِباً لأنه يقترن بمحرّمات**، ويُؤدِّي إلى مُحَرَّمات، ويشغل عن واجبات، ويَهْدُرُ أموالاً، الأُمَّة أحْوَج إلى رَيْعها فيما هو أنفع لها وأجْدَى عليها منهما، وفتح المدارس للعِلْمِ، وإعدادُ الجيش للدفاع أوْلَى من الطرب والغناء.

والذي يبيحون يتكلَّمون عن الغناء والموسيقى من حيث أنهما أصوات مَوْزُونَة، مُطْرِبة، تُسَلِّي ولا تُؤذي، ويضعون لهذه الإباحة حدوداً ويشترطون لها شروطاً.

ومن حقَّقَ رأى الاختلاف في كثير من الحالات لفظياً لا حقيقياً.

ثانيهما: إن الطريق الصحيح للاجتهاد، هُوَ أن نَجْمَعَ الأدِلَّة الثابتة الصحيحة ونفهمها ونتبعها، فحيثما انتهت بنا وَقَفْنا: إمّا إلى التحريم وإما إلى الإباحة.

وبعضُ الناس يَقْلُبُونَ الوَضْعَ، فيضعون النتيجة التي يُريدونها إما إلى التحريم المطلق

---

(١) عبد الغني النابلسي «إيضاح الدلالات في سماع الآلات» الصفحة (٤٢).
(٢) «المرجع نفسه» الصفحة (٤٣) و (٤٥).
(٣) الشوكاني «نيل الأوطار» (٨/ ١٠٩ ـ ١١٩).
(٤) د. يوسف القَرَضاوي «مجلة الأمة» القطرية العدد (٢٠) حزيران عام ١٩٨٢ م، الصفحة (٣٥) تحت عنوان سؤال وفتوى يوسف إسلام الإنجليزي الذي اعتنق الإسلام.
(٥) الشيخ علي الطنطاوي «الفتاوى» الصفحة (١١٠ ـ ١١١).

وإما إلى الإباحة، ثم يأخذون من الأدلة ما يؤدي بهم إلى هذه النتيجة.

ومنهم من يَدَع الصحيح ويأخذ ما لم يصحّ، وقد يُفسِّر اللفظ على معنى يحصره فيه مع إمكان فهم معنى غيره» انتهى كلام الشيخ الطنطاوي.

ت ـ وقد سَرَى الخلاف في حكم الغناء والمعازف عند الفقهاء المعاصرين:

*** فمن المجيزين بالضوابط:**

ـ الدكتور يوسف القَرَضاوي في كتابَيْه «**الحلال والحرام**» و «**الفتاوى**».

ـ والسيد سابق في «**فقه السُّنَّة**».

ـ والشرباصي في «**يسألونك في الدين والحياة**» نقل عنه الشيخ أحمد محمد عَسّاف اللبناني في كتابه «**الحلال والحرام**».

ـ والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي من خلال دروس رياض الصالحين التي ألقاها في دمشق الدرس رقم (٣٨٧) على شريط كاسيت، وكتابه «**نقض الأوهام الجدلية**» الصفحة (٢٨٢) الحاشية رقم (١)، واللقاء الذي أجراه معه التلفزيون السوري ضمن برنامج أرقام.

ـ والشيخ محمد الغزالي المصري في كتابه «**السُّنَّة النبوية بين أهل الفقه والحديث**».

ـ وعلي الطنطاوي في «**الفتاوى**»، ومحمود شلتوت في «**الفتاوى**».

ـ وياسين محمد حسن في كتابه «**الإسلام وقضايا الفن المعاصرة**».

ـ وحيدر قفَّة في «**الصحوة الإسلامية مواقف تستحقّ المناقشة**».

ـ والدكتور حسن الترابي السوداني (كتب عنه محمد الهاشمي الحامدي في كتابه «**هكذا يفكر الترابي**». ومحاضرته في مسجد الخرطوم تحت عنوان «**الدين والفن**».

ـ والشيخ محمد رشيد رضا في «**مجلة المنار**».

*** ومن المانعين:**

ـ الشيخ محمد حامد في رسالته «**حكم الإسلام في الغناء**» متأثراً برأي ابن حجر الهيتمي في «**كف الرعاع**».

ـ والشيخ أحمد بن يحيى النجمي في كتابه «**تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة**».

ـ وأبو بكر الجزائري في رسالته «**حكم الإسلام في الموسيقى والغناء**».

ـ الشيخ عائض القرني، والشيخ عبد الرحيم الطحان، والشيخ أحمد القطان.

ـ الدكتور محمد الزحيلي (أستاذ في جامعة دمشق).

ـ الدكتور وهبه الزحيلي (أستاذ في جامعة دمشق). وهو يرى حرمة الغناء والمعازف باستثناء ما تقتضيه الضرورة التي تقدَّر بقدرها.

ـ الأستاذ وهبي سليمان الغاوجي.

ـ الدكتور أحمد حجي الكردي (أستاذ في جامعة دمشق وخبير في الموسوعة الفقهية الكويت).

ـ الشيخ محمد صالح العثيمين السعودي في كتابه «**الفتاوى**».

ث ـ الخلاف مُقرَّر في الشريعة الإسلامية:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[١].

والمعنى أن الاختلاف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم لا يزال مستمراً[٢].

قال عكرمة: مختلفين في الهُدَى.

وقال ابن جرير: ففريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير.

وقال الإمام البصري ومقاتل وعطاء ويمان: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ الإشارة للاختلاف أي وللاختلاف خلقهم[٣]، فإذا عُلِمَ هذا الأصل المهم في سُنَّةِ الله في خَلْقِهِ، استطعْنَا فَهْمَ اختلاف العقول البشرية عند النظر إلى مسائل الحياة والكون والعِلْم والفَهْم والاستنباط والاستقراء والمناهج العقلية لِفَهْمِ الأمور بما يتناسب مع الظروف والبيئة والتحصيل لأمور الدين وأحكامه وفروعه وأصوله.

وهكذا تفاوت العلماء والفقهاء رضوان الله عليهم أجمعين عند إصدارهم الأحكام الشرعية في مسائل الدين، ومنها مسألة الغناء والمعازف، وفي ذلك خير يُؤكده رسول الله ﷺ بقوله: «إذا حكم الحاكِمُ فأجتهد ثم أصاب فله أجْران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجره»[٤].

ولهذا كله لم يُعنِّف ﷺ على صحابته الكرام عندما **اختلَفُوا** بعد قوله: «لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العصر إلاّ في بني قُرَيْظة»[٥] (من قبائل اليهود حول المدينة المنورة نوّرها الله) إذ انقسموا فريقين: فَهِمَ الأول أن عليه الانتظار للقيام بالصلاة بعد أذان العصر في معقل اليهود نفسه، وخالف الفريق الثاني هذا الرأي وصَلَّى في الطريق. وهذا الحديث النبوي الشريف هو العمدة في الاختلاف، لا مجال لِتَعصُّبٍ وعصبية في الإسلام، وفي قوله ﷺ: «ليس مِنّا مَنْ دَعا إلى

---

(١) سورة هود، الآيتان: (١١٨، ١١٩).

(٢) ابن كثير «**تفسير القرآن العظيم**» (٢/ ٤٨١ ـ ٤٨٢).

(٣) القرطبي «**الجامع لأحكام القرآن**» (٩/ ١١٥).

(٤) متفق عليه. أخرجه البخاري في «**الصحيح**» (١٣/ ٣١٨)، (٩٦) ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، (٢١) ـ باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، الحديث رقم (٧٣٥٢)؛ ومسلم في «**الصحيح**» (٣/ ١٣٤٢)، (٣٠) ـ كتاب الأقضية، (٦) ـ باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد، فأصاب أو أخطأ، الحديث رقم (١٥) ـ (١٧١٦).

(٥) رواه البخاري في «**الصحيح**» (٧/ ٤٠٧) الحديث رقم (٤١١٩)، وانظر الحديث في «**تفسير**» ابن كثير (١/ ٣٠٣) طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

عَصَبِيَّة»[١] منتهى الموضوعية العلمية التي أمر بها الإسلام.

وقبل التعمّق في الموضوع نُحِبُّ أن نُؤكّد النقاط الآتية[٢]:

١ ـ ليس من حق مخلوق بعد رسول الله ﷺ أن يجعل فهمه الخاص للنص هو الحكم الشرعي المُلْزم للأُمّة، فكل الناس بعد رسول الله ﷺ مُتَّبعون، وليسوا مُبتدعين، ومن رَأى رأياً، عليه أن يُقدِّم الدليل المُقْنِع للطرفَيْن، لأن بلوغ الحق هو هدف الجميع، وليس تغليب الهوى، لأن ما يُقال أو يكتب يَبْقى، وتبعة هذا القول تظل ملازمة للفاعِل إلى يوم القِيامة، فليست المسألة هينة، بل الأمر دِينٌ وعِبادة.

٢ ـ إن كثيراً من العلماء عندما يعرض الواحد منهم قضية من القضايا، ويرى فيها رأياً، يَجْمَعُ كل الآراء التي تُناصره ويحجب آراء المعارضين، مُوهِماً أن كل العلماء على رأيه، وفي هذا إجحافٌ بالعلم والناس.

ـ فإجحافٌ بالعلم لأن الإنصاف يقتضي ذكر الرأيين، ثم الترجيح بينهما وُصُولاً إلى الحق الذي هو هدف الجميع.

ـ وإجحافٌ بالناس لأنه نوع من فرض الوصاية على عقولهم، وهو اتِّهامٌ مغلف لهم بعدم القدرة على الفهم أو التمييز الصحيح بين الغَثِّ والسمين، إلاّ من خلال نظرته هو، وهذه تزكيةٌ للنفس بطريقة غير مُباشِرة ولا تليق بعالِمٍ يخشى الله، ويحترم علمه.

٣ ـ إن كثيراً من الأحكام تأخذ مَسار نَفْسِيَّة العالِم وطَبْعِه، فعندما طلب أبو جعفر المنصور من الإمام مالِك بن أنس رضي الله عنه تأليف كتاب يَجْمَعُ فيه سُنَّة النبي ﷺ قال: «تَجَنَّب فيه شدائد عبد الله بن عمر، وَرُخَص ابن عباس، وشواذّ ابن مسعود»[٣] وهذا التباين في الأحكام ناتج عن تباين في الميول والطِّباع...

وفي هذه القضية ـ أعني الغناء ـ نجدها واضحة تماماً، وما نريده ونؤكد عليه، أنه يجب أن تصدر الأحكام بناءً على نصوص صحيحة صريحة قوية، لا يعتريها ضعف، ولا تلبس بها عِلَّة قادِحة، لأننا نريد من العلماء بيان حكم الشرع لا غَلَبَة الطبْع، وما أحرانا باتّباع نهج الرسول الكريم ﷺ في مثل هذا الموقف عندما امتنع عن أكل الضبّ كراهية الطّبْع، فلما سُئِل:

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٣/١٤٧٦)، (٣٣) ـ كتاب الإمارة، (١٣) ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة الحديث رقم ٥٣ ـ (١٨٤٨)، وهو جزء من حديث طرفه: «من خَرَجَ من الطاعة وفارق الجماعة...» الحديث. وأخرجه النَّسائي في «السنن» (٧/ ١٣٩ ـ ١٤٠) طبعة دار المعرفة، (٣٧) ـ كتاب تحريم الدم، (٢٨) ـ التغليظ فيمن قاتل تحت راية عمية، الحديث رقم (٤١٢٥)، وأبو داود في «السنن» بتحقيق الدعاس، الحديث رقم (٥١٢١).

(٢) نقلاً عن حيدر قُفَّة في كتابه «الصحوة الإسلامية» الصفحة (٢١٣ ـ ٢١٧).

(٣) الإمام محمد أبو زهرة «الإمام مالك» الصفحة (١٧٨).

«أهو حرام؟ قال: لا، ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه»[١] فَفَرَّق ﷺ بين حكم الشَّرْعِ وغَلَبَة الطبع.

وهذا ما نريده من السادة علمائنا الأفاضل، لأن حُكْم الشرع يخضع له الناس، ويسع الجميع، ويُرضي الميول والنزعات كلها، وتنقادُ له النفوس. ولذلك نَتَمَنَّى أن نرى عالِماً يقول: هو في الشرع كذا، ولكن طَبْعي أنا كذا، فَنَعْذُره لغلبة طبعه عليه، أما من يقول: حكم الشرع كذا لأنني أميل إليه بلا دليل، فمردود.[٢]

وما من كاتب إلا سَيَبْلى ... ويبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيءٍ ... يسرّك في القيامة أن تراه

٤ ـ إن الغُلُوّ بحدِّ ذاته مَذْمُومٌ، سواء في التشديد أو الترخيص، فنحن أمة وسط، والوَسَطِيَّةُ والاعتدال هي القاعدة، والتي لها أغلب المؤيدين والراغبين، والمتفقة مع السواد الأعظم للناس.

وأما التطرف والغُلُوّ فهو لِقلَّة الناس، ولهم حكم الشواذ[٣]... وقال ﷺ: «إن هذا الدين يُسْرٌ، ولن يشاد الدين أَحَدٌ إلا غلبه، فَسَدِّدوا وقارِبوا...» الحديث[٤].

بعض الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، عندما شدَّدوا على أنفسهم في شبابهم، ولم يقبلوا التخفيف، أمثال عبد الله بن عمرو بن العاص. نَدِموا عند كبر سنهم. قال عبدالله: ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ.

٥ ـ إن الفتوى في قضيَّةٍ ما، أو مسألة ما، لا سيما المختلف فيها بين العلماء، تتغيَّر تبعاً للزمان والبيئة والأشخاص، فإن كان الأقدمون قد اختلفوا في مسألة الغناء هذا الاختلاف، فزماننا بما جَدّ فيه من تغيّرات يَسْتَدعي نظر العلماء العدول، الذي يملكون آلة الاجتهاد وأدواته، ولا يصح الوقوف على ما قال الأقدمون»[٥].

فمن المتغيرات مثلاً: أن الغناء في الماضي كان يُعْقد له جلسات، ويذهب إليه من يشاء

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في «الصحيح» (٩/ ٥٤٢)، (٧٠) ـ كتاب الأطعمة، (١٤) ـ باب الشواء وقول الله تعالى ﴿فجاءَ بعجلٍ حنيذٍ﴾ أي مشوي، الحديث رقم (٥٤٠٠)، ومسلم في «الصحيح» (٣/ ١٥٤٣)، (٣٤) كتاب الصيد والذبائح، (٧) ـ باب، الحديث رقم (٤٤ ـ ١٩٤٦).

(٢) راجع: التنزّه عن الطبع والهوى عند المجتهد من الفصل السادس من الرسالة: الترجيح بين الأدلة.

(٣) راجع الابتعاد عن الغُلُوّ عند المجتهد من الفصل السادس من الرسالة.

(٤) رواه البخاري في «الصحيح» (١/ ٩٣)، (٢) ـ كتاب الإيمان، (٢٩) ـ باب الدين يسر وقول النبي ﷺ: «أَحَبُّ الدين إلى الله الحنيفية السمحة» الحديث رقم (٣٩)، والنسائي في «السنن» (٨/ ٤٩٨)، (٤٧) ـ كتاب الايمان، (٢٨) ـ الدين يُسْر، الحديث رقم (٥٠٤٩).

(٥) راجع: مراعاة قيود وظروف وضوابط النصوص من الفصل السادس من الرسالة والأسباب التي كانت وراء حرمة الغناء والموسيقى مطلقاً.

مختاراً، بينما الغناء اليوم يدخل على الإنسان في مكتبه ومنزله ومخدعه، ويدخل من الباب ويتسلل من النافِذة، ويختلط بكل نشرة أخبار، أو تقرير اقتصادي، أو ندوة علمية، أو. . . أو . . . حتى استحال على الناس الانعزال عنه، ومن قال غير ذلك فهو مُكابِر عنيد لا يُلْتَفَتُ إليه لأنه لَغَى عقله، ويريد إلغاء عقول الناس. . .

كما أنَّ وسائل الإعلام المعاصرة ومع تطوّر التقنيات المذهل أحدثت ما يُعرف بثورة الاتصال التي لم يعرفها القدماء، والتي أصبحت جزءاً من حياة الناس اليوم.

٦ ـ إنَّ الأمر المختلف فيه بين السادة العلماء، يُعْذَرُ الفريقان في اتخاذ الموقف الذي يرونه صواباً من وجهة نظرهم، ولا تُتَّخَذُ هذه المسألة الخلافية تكأةً لتقطيع حبال المَوَدَّة بين الناس، فالناس جميعاً في شرع الله مُتكافِئون، وليس لأَحدٍ أن يزعم أن هذا الدين له وحده، أو أنَّه خُوِّل من الله رب العالمين إجْبَار الناس على رأيه وموقفه.

وَرَحِمَ اللَّهُ الإمام الفقيه التابِعِيّ سفيان الثوري حين قال: «إذا رأيت الرجل يَعْمَلُ العَمَلَ الذي اُخْتُلِفَ فيه، وأنت ترى غيره فلا تَنْهَهُ»[1].

وقد قال الشهيد حسن البنا رحمه الله:

«نعمل فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه». انتهى كلام حيدر قُفَّة.

٦ ـ كلما عمَّت البلوى اشتد النكير عبر العصور:

والملاحظ بوجه عام أن المتقدمين كانوا أكثر تَسامحاً وأبْعَد عن التَّزمُّتِ في سماع الغناء. وكذلك كان الصوفية، ولعلّ ذلك لأن المجتمعات الإسلامية الأُولى كانت تقوم على أعرافٍ متينة من الأخلاق الدينية، وعلى قواعد ثابتة من المروءة والفتوَّة، وقد صَحَّ أن الرسول ﷺ سمع الغِناء في بيته، كما صَحَّ أن بعض الصحابة والتابعين سمعوا الغناء وحضروا مجالسه.

وإزاء هذه النُّصُوص لم يستطع المانعون للغناء أن يمنعوه على الإطلاق إلاّ إذا أَفْضَى إلى مَحْذور، وَلَعلَّ خير من يُمَثِّلُ هؤلاء الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره «**الجامع لأحكام القرآن**» وقد مَضَى بينه وبين صدر الإسلام قرون عدَّة تطوّر المجون فيها والفسق والعهر والعربدة والزنى والجرائم، فانحرفت الأخلاق عن بناء النفوس وملئت القلوب بالجهل واللهو والشهوات والأهواء والفساد.

يقول الإمام القرطبي[2] رحمه الله:

---

(١) الدكتور محمد البيانوني «سفيان الثوري» الصفحة (٩٨).

(٢) القرطبي «**الجامع لأحكام القرآن**» (١٤/ ٥٤) من المسألة الثانية، الآية (٦) من سورة لقمان.

«الغناء المعتاد عند المشتهرين به، الذي يُحرِّك النفوس، ويبعثها على الهَوى والغَزَل، والمُجُون الذي يُحَرِّك الساكن ويبعث الكامِن، فهذا النوع إذا كان في شعر يُشَبَّبُ فيه بذكر النِّساء وَوَصْفِ محاسنهنّ وذكر الخمور والمحرّمات لا يُخْتَلف في تحريمه، لأنه اللهو والغناء المذموم بالاتفاق.

فأما ما سَلِمَ من ذلك، فيجوز القليل منه في أوقات الفَرَح كالعرس والعيد، وعند التنشيط على الأعمال الشاقة، كما كان في حفر الخَنْدق وحَدْوِ أنجشة وسَلَمة بن الأكوع» انتهى كلام القرطبي.

وهكذا على مَرَّ العصور، كُلَّما ازداد الانحراف، ازداد النكير، وعلت صَرْخات المفتين بالتشديد والتحريم، وكُلَّما استقامت النفوس هَدَأت الأصوات وسَكَنَتْ لاختفاء المحظور.

وفي هذا يقول الشيخ محمد رشيد رضا في **«مجلة المنار»**:

«لهذا رأيتُ كثيراً من أئمة العلماء والزهّاد شدَّدَ النكير على أهل اللهو لَمَّا كَثُر وأسْرَفَ الناسُ فيه، عندما عظم عمران الأُمَّة واتسعت مذاهب الحضارة فيها... حتى جاء أهْلُ التقليد من المُصَنّفين فَرَجَّحُوا أقوال الحَظْر، وزادوا عليها في التشديد»[1].

٧ ـ الغناء والإعلام:

ولا شكَّ أن معالجة موضوع الغناء والمعازف في الإعلام لا يمكن أن تتمّ بإنصاف إلاّ في ظل النظام الإسلامي.

أولاً: غياب الدولة الإسلامية والسياسة الشرعية:

ذلك أن هذا الموضوع ـ شأنه شأن أيّ موضوع آخر ـ قد صُبِغَ بلَوْنِ «الفَلَتان» في النظم الوَضعيَّة التي اسْتَبْدَل بها مُسْلمو هذا الزمان الرديء طُرُقَهم في الحُكْمِ عِوَضاً عن القرآن الكريم والسُّنَّة النبويَّة المُطَهَّرة، فانحدرت بذلك القِيَم والمجتمعات والأخلاق انحداراً مخيفاً، أَجَّجَ ناره أعداء هذا الدين، وعلى رأس هؤلاء اليهود لِما لهم من نفوذ وسيطرة في العالم على الصعيد الإعلامي[2]، ساعدهم على ذلك حزبهم السري المسمى «الماسونية» وأصحاب الشهوات من المسلمين في الحُكْم.

ولن تقوم قائمة لهذا الدين إنْ نحن استمررنا بمحاربة رب الأرض والسماء، وهو ما حذَّرنا منه اللطيف الخبير بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ

---

(١) الشيخ محمد رشيد رضا **«مجلة المنار»** (٩/ ٤٣ ـ ٤٤).

(٢) انظر زياد أبو غنيمة **«السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية»**، وعبد الله حلاق **«الإعلام اليهودي»** الصفحة (١٦) ومحمد خليفة التونسي **«بروتوكولات حكماء صهيون»** الصفحة (١٢٤)، (١٦٢) (١٦٣)، وفؤاد بن سيد عبد الرحمن **«النفوذ اليهودي»** الصفحة (٤٤)، ومحمد منير سعد الدين **«الإعلام»** الصفحة (٩٠).

﴿٤٥﴾[١] وفي لفظ: ﴿هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾[٢]، وفي لفظ ثالث: ﴿هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[٣].

ثانياً: الإعلام صورة النظام السياسي:

فقد انْعَلَمَ - باعتماد النُّظم الوضعية السياسية طُرُقاً للحُكْم - **القانون** الإسلامي تطبيقاً على الأرض، فانحدرت الأخلاق وانتشر الزنى وشرب الخمور وعلت نسبة الجرائم والسرقات وانْتَشَرَ الهوى وفسدت العقائد في نفوس الأجيال التي فقدت صلتها بالله، وصارت آمالها وأحلامها تحقيق أهواءها ورغباتها في المال والسلطة والشهوات.

فشاعَ الحَرام وانتشر الرّبا، وزال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **وتعطلت الحدود**. وما تزال الأبواق الإعلامية لهذه النظم الوضعية تبث المنكرات، ولا تستنكر المُحَرمات.

وما يزال المسلمون المخلصون يشعرون بالأسى واللوعة والحرقة كلما امتد بالناس الزمان، ودول العالم كلها في الغرب وأميركا والشرق تعْلَو وتغلب، والمجتمعات الإسلامية تتراجع وتتقهقر، ودائماً إلى الوراء وبسرعة مذهلة، يوماً بعد يوم، وساعة بعد ساعة، بغياب خطة إعلامية رشيدة، تواجِهُ سموم المُضَلِّلين وأعداء هذا الدين فَنَجَح هؤلاء بتدمير الإسلام بأيدي أهله وواقعنا الذليل الممثل بالفوضى الاقتصادية، والأُمِّيَّة[٤]، والحروب الداخلية، والفتن بين الدول الإسلامية خير دليل.

ولَعَلَّ من أهم مَعاوِلِ الهَدْم وأشدّ الأسلحة فتكاً بالمجتمعات الإسلامية المشرذمة سلاح الإعلام، هذا السلاح الذي نجح الأعداء بالسيطرة عليه وسلَّطوه على رؤوس أجيالنا المشرذمة في كل مكان وزمان، ووزارات التربية و «منظماتها» تلتزم الصمت أمام الانحراف الأخلاقي وانتشار الفساد الظاهر في البيت والمدرسة والشارع والمجتمع، الذي هو انعكاس للباطن.

وقد أثبت العرب والمسلمون في هذا الزمان فشلهم الذريع في تحدياتهم المعاصرة من خلال نظمهم الوَضْعية التي يتسترون وراء هويتها الإسلامية، لأنهم كما يقول عنهم العلاّمة المؤرخ الكبير ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في **«مقدمته»** وكأنه يَصِفُهم اليوم بعد ستة قرون لم تُغَيِّر فينا شيئاً ولم نرقَ فيها حتى إلى فهم الإنسان:

«أصعب الأُمَمِ انقياداً بعضهم لبعض، لِلْغِلَظة والأنفة، وبُعْد الهمَّة، والمُنَافَسَة في الرِّياسة، فَقَلَّما تجتمع أهواؤهم، ومن أجْلِ ذلك لا يحصل لهم الملك إلا بصبغةٍ دينية من نبُوَّةٍ، أو ولايةٍ، أو أثَرٍ من الدين على الجُمْلة»[٥].

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٤٥).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٤٧).

(٣) سورة المائدة، الآية: (٤٤).

(٤) وتبلغ نسبتها ٣٨,٦ ٪ في دول العالم العربي وحوض المتوسط، حسب إحصاء عام ١٩٨٥ م الذي نقلته مجلة «آفاق الإسلام» الصادرة في الأردن، العدد (٢)، الصفحة (٧٢)، عام ١٩٧٤م، فما يزال أمام المسؤولين في وزارات التعليم في العالم الإسلامي تحدّيات كبيرة لمحو الأمية وفرض التعليم الإجباري والمجاني.

(٥) ابن خلدون **«المقدمة»** الصفحة (١٥١) الفصل (٢٧) قال: والسبب في ذلك لِخُلُقِ التَّوَحُّش فيهم (أي العرب)، =

لم يحلّ مشاكلهم «مجلس الأمن»[١] ولا «جامعة الدول العربية» ولا «رابطة العالم الإسلامي» وكلها تنظيمات لم يُنَزِّل الله بها من سُلْطان، فهم يُفَجرون صراعاتهم وقت الأزمات، وينفردون بقراراتهم وقت الشدائد، حتى ولو استدعى ذلك الاستعانة بغير المسلمين بدافع التعصّب وشهوة السلطة.

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا۠ * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾[٢].

ثالثاً: خطورة الغناء المُحَرَّم في وسائل الإعلام المعاصرة:

والإسلام هو البحر الواسع الوحيد الذي يقضي على عصبيات العرب والمسلمين وحبهم للرياسة والملك. وإن خطورة موضوع الغناء في الإعلام تكمن في أنه يُفْسِدُ القلب ـ العُضْو الملك ـ الذي يحكم الأعضاء، فتنهار النفوس من بعدها لتجني الفُلُوس، فَتُعَرْبِدُ الرُّؤُوس لِتَشْرَب الكُؤُوس، حتى أننا لا نبالغ إنْ قُلْنا إن كل أغاني هذا الزمان حرام (باستثناء الإذاعات الدينية التي لا تشكل سِوى ٥٪ من الإذاعات عامة)، وإنَّ السَّاحة الإعلامية غَلَبَت عليها الأقلام السوداء في أربعة أخماس برامجها.

إننا مطالَبُون بـ «عمر» جديد ليجمع شمل المسلمين في أقطار الأرض، يعتبر رأس الدولة، مُحاطاً بأهل الحَلّ والعَقْد، وذلك لإقامة الحدود، ودفع المظالم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدفاع عن الثغور، وتوزيع الصدقات، والسهر على أمور المسلمين.

إعْـلامُ هـذا العصـر شَـرٌّ ظـاهِـرٌ ... فَعَلَـى يَـدَيْـهِ تُـزَوَّرُ الأخبـارُ
وعلـى يَـدَيْـهِ تُشَـاعُ كُـلّ رذيلـةٍ ... وعَلَـى يَـدَيْـهِ تُشَـوَّه الأفكـارُ

رابعاً: غياب التخطيط الإعلامي الهادف ـ الواضح والمدروس وضرورة ضبط الإعلام:

فماذا تَفعل كليات الإعلام في دولنا الإسلامية؟ وما هي نشاطات متخرجيها على صعيد البناء الفكري والتربوي والتنمية والتنظيم؟ ما هي مواقف علماء الدين أمام واقع التخلّف ومعوّقات التنمية؟ أين المَنَابِر؟ وأين حَلَقات العلم والدروس في المساجد؟ أين الرِّجال؟

لماذا هذا التقصير الإعلامي والسلبية التي تترك مجتمعاتنا فريسةً للفوضى والتراجع؟ فتحجب الرؤية الصحيحة، أم ترانا كما يصفنا الأعداء «قومٌ لا يقرؤون، وإذا قَرَؤوا لا يفهمون، وإذا فهموا لا يعملون».

= نقل عنه د. حسن الزيات في **«تاريخ الأدب العربي»** الصفحة (٦٢)، ولابن خلدون كلامٌ رائعٌ حول العرب والسياسة في «مقدمته» في الصفحات (١٥١ ـ ١٥٢) فلينظرها من شاء فإن فيها فوائد حَسَنة.

(١) راجع كتاب مصطفى صبري **«موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المُرْسلين»** (١/ ٥) المكتوب عام ١٩٤٥م، وكيف أصبحنا ألعوبة في أيدي الدول الكبرى، بعد إنشاء ما يسمى «مجلس الأمن» و «جمعية الأمم المتحدة».

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: (٦٧، ٦٨).

إن السياسة الإعلامية في الدول الإسلامية بحاجة لجهود جَبَّارة على هذا الصعيد لمناقشة هذا الأمر على بساط البحث بما يُعرف «بالندوات الإعلامية»، لوقف النزيف ومعالجة المشاكل المطروحة وتبيان طرق معالجتها، وأهمها التخلُّص من موجات التَّبَعِيَّة الغربِيَّة الضارة الوافدة علينا، والتي لا تؤدي إلاّ إلى قتل الوقت والانحراف العقائدي، وانهيار الأخلاق، وتحطيم النفوس، إضافةً إلى براثن التضليل الإعلامي المرئي والمسموع كما في الأفلام السينمائية والإذاعات التلفزيون والجرائد والمجلات التي تستمد أخبارها من الصحافة الأجنبية كالوكالات الأميركية للأخبار، ومنها الأسوشيتد برِسْ، ووكالة رويتر، وإذاعة الـ «ن بي سي»، ووكالة الصحافة الفرنسية، وشركات هوليود العالمية، وإذاعة الـ «بي بي س» اللندنية.

وكأننا لا نستطيع أن نُقَدِّم شيئاً بدونهم... تحت نظرية اتِّباعِ المغلوب للغالب الذي ذكرها ابن خلدون، ونحن لو تأملنا واقع التقصير الإعلامي لوجدناه ينقص ما يُسمَّى بـ «التخطيط»، التخطيط الإعلامي الهادف، الواضح، والمدروس الذي هو ضرورة في جميع نواحي النشاط الإنساني، خاصةً بعدما ارتقت أساليبه وطرقه إثر التقدم العلمي الكبير في مجالات البحوث العلمية والرياضيات والحاسبات الألكترونية المتطورة التي أحدثت في العالم ما يسمى «ثروة الاتِّصال» المعتمد على البحوث العلمية.

* وتتمثل الخطة الإعلامية الواضحة بالمراحل التالية[١]:

١ ـ **تحديد الهدف:** بشكل واضح ومقروء وهو المشكلة الواجب معالجتها وَصْفاً وكمّاً. يشمل الهدف العام والأهداف الجزئية التي يتفرع منها أهداف تفصيلية، وَفْقاً لتناسق منطقي مترابط.

نموذج هَرَمي لتوضيح الأهداف الفرعية والمرحلية وصولاً للهدف النهائي[٢].

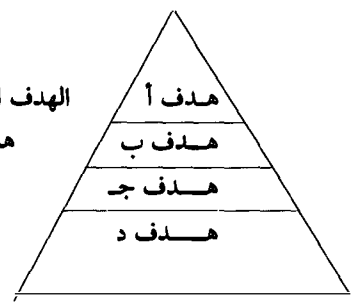

(١) محمود كرم سليمان «التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام» الصفحة (٣٤) وما بعدها.
(٢) د. إبراهيم إمام «الإعلام والاتصال بالجماهير» الصفحة (٣٢١).

٢ ـ استقراء الواقع:

بشكل موضوعي عن طريق الإحصاء "ÉTUDES STATISTIQUES " وهذه هي الركيزة الأساسية التي تُمَكِّنُ من جمع المعلومات الصحيحة، فتساعد على تحديد الأهداف، وتقويم نتائج الخطط السابقة لرسم السياسات الإعلامية المستقبلية، والاستفادة من خبرات الماضي لصنع القرارات[١].

٣ ـ وضع الخطة:

أي التدابير المصممة للوصول إلى الأهداف العامة في مدة زَمَنِيَّة مُحَدَّدة، وفي نطاق القيود المالية والمادية والبشرية، مع ليونة ومرونة بنسبة ٢٠٪ تواجه المواقف المتغيرة، أو خطة بديلة في حال انقلاب الأوضاع.

وتكون العلاقة بين عناصر الخطة وفق الرسم الآتي:

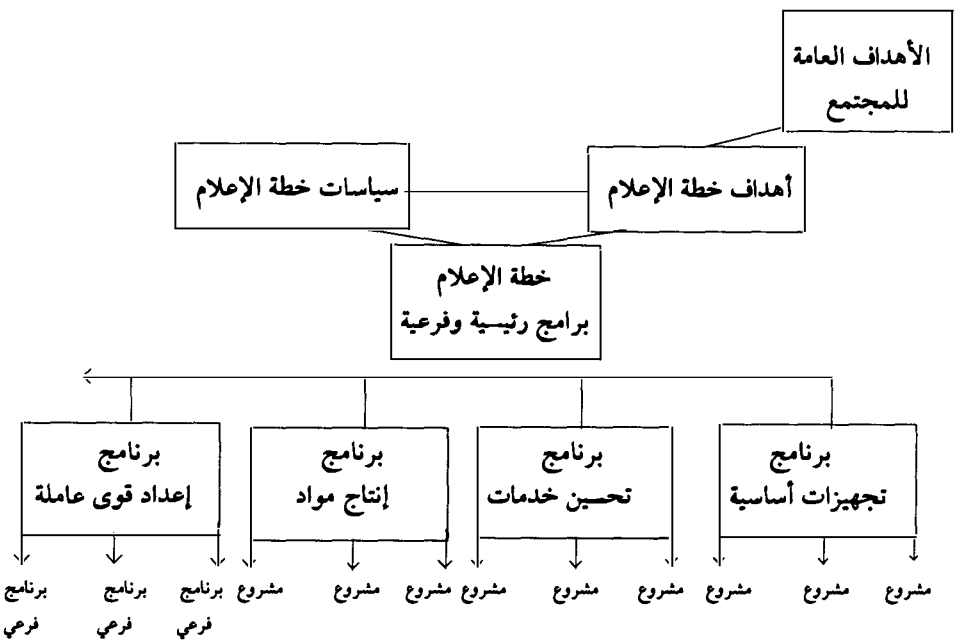

٤ ـ تنفيذ الخطة ومتابعة الإشراف:

من قبل أجهزة متخصصة تحتاج إلى عمليات تنظيمية وإشرافية، وتنفيذية ميدانية ومكتبية.

٥ ـ التقييم والمحاسبة:

التي تقيس مستوى تحقيق الهدف العام وتَكْشِفُ المعُوِّقات لها، كارتفاع نسبة الأُمِّيَّة أو انخفاض دخل الفرد، أو خصائص البيئة، أو سوء الخدمات وغير ذلك.

---

(١) د. جيهان أحمد رشتي «الأُسس العلمية لنظريات الإعلام» الصفحة (٤٠).

رسم تلخيصي لمراحل التخطيط الإعلامي الإسلامي المفقود في الإعلام المعاصر

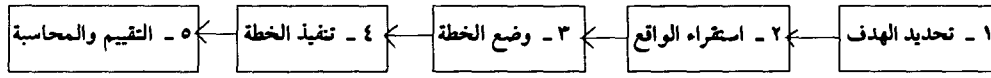

١ ـ أهداف خطة الترويح في الإعلام الإسلامي:

(١) د. التهامي نقرة «مجلد بحوث اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الإسلامي» الصفحة (٣٤٧ ـ ٣٤٩).
(٢) «المرجع السابق» الصفحة (٤٢٣ ـ ٤٢٤) (محمد عبد الله السمان).
(٣) «المرجع السابق» الصفحة (٢٨٩) (محمد الغزالي).
(٤) «المرجع السابق» الصفحة (٣٣٢) (زين الدين الركابي).
(٥) بيان جاكرتا الصادر عن مؤتمر الإعلام الإسلامي العالمي نقلاً عن «مجلة الإيمان» المغربية العدد (٩٨ ـ ١٠٠) الصفحة (٧٥ ـ ٧٦).

* **ضرورة ضبط الإعلام المُعاصر:**

ويتمثل ذلك بإنشاء لجنة مراقبة تشرف على إذاعة ونشر الفنون الإسلامية خصوصاً في مجالات التربية وَفق الضوابط الشرعية الإسلامية، تَضُمُّ نُخْبَةً من علماء النفس، وعلماء في اللغة العربية، وعلماء الاجتماع، وعلماء في الشريعة، وعلماء في التاريخ الإسلامي، يُنَفِّذُ قراراتها ما يُعْرَفُ اليوم «بالشرطة الأخلاقية» التي عُرِفت سابقاً بأهل الحِسْبَة في التاريخ الإسلامي.